٧١
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر مقتل مُصْعَب ومَلْك عبد الملك العراق

في هذه السنة قُتل مُصْعب بن الزّبير في جُمَادَى الآخرة، واستولى عبد الملك بن مروان على العراق.

وسبب ذلك أنّ عبد الملك بن مروان لما قتل عَمْرو بن سعيد بن العاص، كما تقدّم ذكره، وضع السيف فقتل مَنْ خالفَه، فصفا له الشام. فلمّا لم يبقَ له مخالف فيه أجمع المسير إلى مُصْعَب بن الزّبير بالعراق، فاستشار أصحابه في ذلك، فأشار يحيَى بن الحكَم بن أبي العاص عمُّه بأن يقنع بالشام ويترك ابن الزّبير والعراق، وكان يقول عبد الملك: مَنْ أراد صواب الرأي فلْيخالفْ يحيَى. وقال بعضهم: إنّ العام جدب وقد غزَوتَ سنتين فلم تظفرْ، فأقمْ عامك هذا. فقال عبد الملك: الشام بلد قليل المال، ولا آمن نفاده، وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعونني إليهم، وقال أخوه محمّد بن مروان: الرأي أن تطلب حقّك وتسير إلى العراق، فإنّي أرجو أنّ الله ينصرك. وقال بعضهم: الرأي أن تقيم وتبعث بعض أهلك وتمدّه بالجنود. فقال عبد الملك: إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلاّ قرَشيٌّ له رأي، ولعلّي أبعث مَنْ له شجاعة ولا رأي له، وإنّي بصير بالحرب شجاع بالسيف إن احتجتُ إليه، ومُصْعب شجاع من بيت شجاعة، ولكنّه لا علم له بالحرب يحبّ الخفْض، ومعه من يخالفه، ومعي مَن ينصح لي.

فلمّا عزم على المسير ودّع زوجتَه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فبكت وبكى جواريها لبكائها، فقال: قاتل الله كثيّر عَزّة! لكأنّه يشاهدنا حين يقول:

إذا ما أرادَ الغَزْوَ[1] لم يَثْنِ هَمَّهُ ... حَصانٌ عَلَيها عِقدُ دُرٍّ يَزِينُها
نَهتْهُ فلمّا لمْ تَرَ النَّهْيَ عاقَهُ ... بكَتْ وبكى ممّا عَناها قَطِينُها[2]

---

(١) في الأوربية: «العزّ».

(٢) البيتان في: الأغاني ٩/٢١.

وسار عبدُ الملك إلى العراق، فلمّا بلغ مُصْعباً مسيرُه وهو بالبصرة أرسل إلى المهلّب، وهو يُقاتل الخوارج، يستشيره، وقيل: بل أحضره عنده، فقال لمُصْعب: اعلم أنّ هل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم، فلا تُبْعِدْني عنك. فقال له مُصْعَب: إنّ أهل البصرة قد أَبَوا (أن يسيروا حتّى أجعلك على قتال الخوارج، وهم قد بلغوا سوق الأهواز، وأنا أكره[1] إذ سار عبد الملك إليّ أن لا أسير إليه، فاكفِني هذا الثغر.

فعاد إليهم، وسار مُصْعب إلى الكوفة ومعه الأحْنف، فتوفّي بالكوفة، وأحضر مُصْعبُ إبراهيمَ بن الأشتر، وكان على الموصل والجزيرة، فلمّا حضر عنده جعله على مقدّمته، وسار حتّى نزل باجُمَيْرَى[2]، وهي قريب [من] أوانا، وهي من مَسْكِن، فعسكر هناك[3].

وسار عبد الملك وعلى مقدّمته أخوه محمد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فنزلوا بقَرْقِيسيا، وحصروا زُفَر بن الحارث الكلائيَّ، ثمّ صالحهم، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وسيّر زُفَر ابنَه الهُذَيل مع عبد الملك، وكان معه، ثمّ لحِق بمُصْعب بن الزّبير. فلمّا اصطلحا سار عبد الملك ومَنْ معه، فنزلوا بمَسْكِن قريباً من عسكر مُصْعب، بين العسكرين ثلاثة فراسخ، ويقال: فرسخان، وكتب عبدُ الملك إلى أهل العراق مَنْ كاتبه ومَن لم يكاتبْه، وبذل لجميعهم أصبهان طُعمةً[4]، وقيل: إنّ كلّ مَنْ كاتبه طلب منه إمرة أصبهان، فقال: أيّ شيء هذه أصبهان حتّى كلّهم يطلبها!

فكلٌّ منهم أخفى كتابه، إلاّ إبراهيم بن الأشتر، فإنّه أحضر كتابه عند مُصْعب مختوماً، فقرأه مُصْعب، فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق، فقال له مُصْعب: أتدري ما فيه؟ قال: لا. قال: يعرض عليك كذا وكذا، وإنّ هذا لما يُرغب فيه. فقال إبراهيم: ما كنتُ لأتقلّد الغدر والخيانة، ووالله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأيأس منه منّي، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم مثل الذي كتب إليّ، فأطِعْني واضرب أعناقهم. قال: إذاً لا يناصحني عشائرهم. قال: فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أبيض كسرى، واحبسْهم هناك، ووكّلْ بهم مَنْ إن غُلبتَ وتفرّقتْ عشائرهم عنك ضرب

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) في الأوربية: «باخَمْرَى».

(٣) نهاية الأرب ٢١/١٢٠، ١٢١.

(٤) في الأوربية: «طمعة».

رقابهم، وإن ظهرتَ مَنَنْتَ[1] على عشائرهم بإطلاقهم[2]. فقال: إنّي لفي شُغُل عن ذلك، فرحِم الله أبا بحر، يعني الأحنف بن قيس، إن كان ليحذّرني غدر أهل العراق[3]، ويقول: هم كالمومسة تريد كلّ يوم بعلاً، وهم يريدون كلّ يوم أميراً.

فلمّا رأى قيسُ بن الهيثم ما عزم أهلُ العراق عليه من الغدر لمُصْعب قال لهم: ويحكم! لا تُدخِلوا أهل الشام عليكم! فوالله لئن يطعموا بعيشكم ليضيِّقُنّ عليكم منازلكم، والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتُنا في الصوائف[4]، وإنّ زادَ أحدنا على عدّة أجمال، وإنّ الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزادُه خلفه، فلم يسمعوا منه.

فلمّا تدانَى العسكران أرسل عبدُ الملك إلى مُصْعب رجلاً من كلب وقال له: أقرىء ابن أختك السلام؛ وكانت أمّ مُصْعب كلبيّة؛ وقلْ له يدَع دعاءه إل أخيه، وأدَع دعائي إلى نفسي، ويجعل[5] الأمر شُورى. فقال له مُصْعب: قلْ له السيف بيننا.

فقدّم عبد الملك أخاه محمّداً، وقدّم مُصْعَب إبراهيم بن الأشتر، فالتقيا، فتناوش الفريقان، فقُتل صاحب لواء محمّد، وجعل مُصْعب يمدّ إبراهيم، فأزال محمّداً عن موقفه، فوجّه عبد الملك عبدَ الله بن يزيد إلى أخيه محمّد، فاشتدّ القتال، فقُتل مسلم بن عَمْرو الباهليّ والد قُتيبة، وهو من أصحاب مُصْعب، وأمدّ مُصْعبٌ إبراهيمَ بعتّاب بن ورقاء، فساء ذلك إبراهيم وقال: قد قلتُ له لا تمدّني بعتّاب وضُرَبائه، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون! فانهزم عتّاب بالناس، وكان قد كاتب عبدَ الملك وبايعه، فلمّا انهزم صبر ابن الأشتر فقُتل[6]، قتله عُبيدُ بن مَيْسرة مولى بني عُذْرة، وحمل رأسه إلى عبد الملك.

وتقدّم أهل الشام فقاتلهم مُصْعَب، وقال لقَطن بن عبد الله الحارثيّ: قدّمْ خيلَك أبا عثمان. فقال: أكره أن تُقتَل مَذْحِج في غير شيء. فقال لحجّار بن أبْجر: يا أبا أُسِيد قدّم خيلك. قال: إلى هؤلاء الأنتان[7]! قال: ما تتأخّر إليه أنتنُ! فقال لمحمّد بن عبد الرحمن بن سعيد مثل ذلك، فقال: ما فعل أحد[8] هذا فأفعله. فقال مُصْعب: يا

---

(١) في الأوربية: «منيت».
(٢) قارن هذا الخبر بما في: الأخبار الموفّقيّات ٥٥٧، ٥٥٨، وأنساب الأشراف ٥/٣٤٠، ٣٤١، والأغاني ١٩/١٢٣، ١٢٤، والأخبار الطوال ٣١٢.
(٣) تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣٠٣.
(٤) في الأوربية: «الضوائف».
(٥) في (ر): «وندع».
(٦) الأغاني ١٩/١٢٤، ١٢٥.
(٧) في (ب): «الأنثمان»، وفي (آ): «الأمان».
(٨) في (ب): «أسيد».

إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم! ثمّ التفت فرأى عُرْوَةَ بن المغيرة بن شُعْبَة، فاستدناه فقال له: أخبرْني عن الحسين بن عليّ كيف صنع بامتناعه عن النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب، فأخبره، فقال:

إنّ الأُلى[1] بالطَّفّ من آلِ هاشِمٍ ... تأسَّوا فسَنّوا للكرامِ التأسِّيا[2]

قال عُرْوَةُ: فعلمتُ أنّه لا يبرحُ حتّى يُقتل.

ثمّ دنا محمّد بن مروان من مُصْعب وناداه: أنا ابن عمّك محمّد بن مروان، فاقبلْ أمانَ أمير المؤمنين. فقال: أمير المؤمنين بمكّة، يعني أخاه عبد الله بن الزّبَير. قال: فإنّ القومَ خاذِلوك. فأبَى ما عرض عليه. فنادى محمد عيسى بن مُصْعب بن الزّبير له، فقال له مُصْعب: انظرْ ما يريد منك. فدنا منه، فقال له: إنّي لك ولأبيك ناصح، ولكما[3] الأمان. فرجع إلى أبيه فأخبره، فقال: إنّي أظنّ القوم يفون لك، فإن أحببتَ أن تأتيهم فافعلْ. فقال: لا تتحدّث نساء قريش أنّي خذلتُك ورغبتُ بنفسي عنك. قال: فاذهبْ أنتَ ومَن معك إلى عمّك بمكّة، فأخبره بما صنع أهل العراق، ودَعْني فإنّي مقتول. فقال: لا أخبر عنك قريشاً أبداً، ولكن يا أبه الحقْ بالبصرة، فإنّهم على الطّاعة أو الحقْ بأمير المؤمنين. فقال مُصْعَب: لا تتحدّث قريش أنّي فررتُ.

وقال لابنه عيسى: تقدّم إذن أحتسبك، فتقدّم ومعه ناس فقُتل وقُتلوا[4]؛ وجاء رجل من أهل الشام ليحتزّ رأس عيسى، فحمل عليه مصعبٌ فقتله وشدّ على الناس، فانفرجوا له، وعاد ثمّ حمل ثانية، فانفرجوا له، وبذل له عبد الملك الأمان وقال: إنّه يعزّ عليّ أن تُقتل، فاقبلْ أماني ولك حكمك في المال والعمل. فأبَى وجعل يضارب. فقال عبد الملك: هذا والله كما قال القائل:

ومُدَجَّج[5] كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ ... لا مُمعِناً[6] هَرَباً ولا مُستَسلِما[7]

ودخل مُصْعبٌ سُرادَقه، فتحنّط ورمى السُّرادق وخرج فقاتل، فأتاه عُبيدُ الله بن

---

(١) في الأوربية: «ألا إنّ لي».

(٢) في الأوربية: «التأسا». والبيت في: الأخبار الطوال للدينوري ٣١١، والطبري ١٥٦/٦ وأنساب الأشراف ٣٣٩/٥، والأغاني ١٢٩/١٩، والفتوح لابن أعثم ٢٦٤/٦، ونهاية الأرب ١٢٤/٢١، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ). ص ٣٠٦، والتذكرة الحمدونية ٤٥٧/٢، وشرح نهج البلاغة ٢٩٨/٣.

(٣) «ولكما» زيادة من (ب)، وفي (ر): «لكم».

(٤) الأغاني ١٢٥/١٩، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٥) في (آ): «ومذ حجّ»، وفي الأوربية: «مذحج».

(٦) في (آ): «وممتعن»، وفي (ر): «لأمعن»، وفي الأوربية: «وممعن».

(٧) في أنساب الأشراف ٣٤٠/٥ «مستسلم».

زِياد بن ظَبْيان، فدعاه إلى المبارزة، فقال له: يا كلب اعزَب! مثلي يبارز[1] مثلك! وحمل عليه مُصْعبٌ فضربه على البيضة، فهشمها وجرحه، فرجع وعصّب رأسه، وترك الناس مُصْعباً وخذلوه حتّى بقي في سبعة أنفُس، وأُثخن مُصْعب بالرمي، وكثُرت الجراحات فيه، فعاد إلى عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان، فضربه مُصْعبٌ فلم يصنع شيئاً لضَعفه بكثرة الجراحات، وضربه ابن ظَبيان فقتله.

وقيل: بل نظر إليه زائدة بن قُدامة الثقفيُّ، فحمل عليه فطعنه وقال: يا لثارات[2] المختار! فصرعه، وأخذ عُبيدُ الله بن زياد رأسه، وحمله إلى عبد الملك، فألقاه بين يديه وأنشد:

نُعاطي الملوكَ الحقَّ ما قسطوا[3] لَنا ولَيسَ علَينا قتلُهمْ بمُحَرَّمِ

فلمّا رأى عبد الملك الرأس سجد. قال ابن ظَبيان: لقد هممتُ أن أقتل عبد الملك وهو ساجد، فأكون قد قتلتُ ملكَيِ العرب، وأرحتُ الناسَ منهما[4]. وقال عبد الملك: لقد هممتُ أن أقتل ابن ظَبيان، فأكون قد قتلتُ أفتك الناس بأشجع الناس.

وأمر عبد الملك لابن ظَبيان بألف دينار، فقال: لم أقتلْه على طاعتك، وإنّما قتلتُه على قتل أخي النّابىء بن زياد؛ ولم يأخذ منها شيئاً.

وكان قتل مُصْعب بدَير الجاثَليق عند نهر دُجَيل[5]، فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدُفنا، وقال: كانت الحرمة بيننا قديمة ولكنّ المُلْك عقيمٌ[6].

وكان سبب قتل النّابىء أنّه قطع الطريق هو ورجل من بني نُمَير، فأُحضِرَا عند مُطَرِّف بن سَيْدان الباهليّ صاحب شُرطة مُصْعب، فقتل النّابىءَ، وضرب النُّمَيريَّ وأطلقه، فجمع عُبيد الله جمعاً، وقصد مطرِّفاً بعد أن عزله مُصْعب عن شُرطته وولّاه الأهواز، وسار عُبيد الله إلى المطرِّف فقتله، فبعث مُصْعب مُكْرَم بن مطرِّف في طلب عُبيد الله، فسار حتّى بلغ عسكر مُكْرَم، فنُسب إليه، ولم يلقَ عُبيدَ الله، كان قد لحِق بعبد الملك. وقيل في قتله غير ذلك.

---

(١) في الأوربية: «اعرب مثلي مبارز».

(٢) في الأوربية: «لثرات».

(٣) في (ر): «قصدوا».

(٤) المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١، الأغاني ١٩/١٢٦، أنساب الأشراف ٥/٣٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٥، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٠٥، البداية والنهاية ٨/٣٢١.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١.

(٦) مجمع الأمثال للميداني ٢/٦٨٥.

فلمّـا أُتيَ[1] عبدُ الملك بـرأس مُصْعب نظر إليـه وقال: متى تغـذو[2] قُرشيّـة مثلك! وكانا يتحدّثان إلى حُبّى وهما[3] بالمدينة، فقيـل لها: قُتـل مُصْعب. فقالت: تعِس قـاتلُه! فقيل: قتله عبد الملك بن مروان. فقالت: وا بأبي القاتل والمقتول!

ثمّ دعـا عبدُ الملك بن مـروان جُند العـراق إلى بيعتـه فبـايعـوه، وسـار حتّى دخـل الكوفة، فأقـام بالنُّخَيْلة أربعين يـوماً، وخـطب النـاسَ بـالكوفـة، فوعـد المُحْسنَ وتوعّـد المُسيء، فقـال: إنّ الجـامعـة التي وُضعت في عُنق عَمـرو بن سعيـد عنـدي، ووالله لا أضعها في عُنق رجلٍ فأنتزعها إلاّ صُعُداً، لا أفُكُّها[4] عنه فكّاً، فلا يُبْقِينّ[5] امـرؤٌ إلاّ على نفسه، ولا يولغنّ دمه، والسلام.

ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه، فحضرتْ قُضاعةُ، فقـال لهم: كيف سلِمتُم وأنتم[6] قليـل مع مُضَـر؟ فقال عبـد الله بن يَعْلى النَّهْديُّ: نحن أعـزّ منهم وأمنع بـك وبمن معك منّا. ثمّ جاءت مَـذْحِج فقـال: ما أرى لأحـد مع هؤلاء بـالكوفـة شيئاً. ثمّ جـاءتْ جُعفى فقال: إيتوني بابن أختكم، يعني يحيى بن سعيد، وكانت أمّه مَذْحِجيّة، فقالوا: هو آمن؟ فقـال: وتشترطـون أيضاً! فقـال رجل منهم: إنّـا ما نشتـرط جهلاً بحقّـك، ولكنّا نتسحّب عليك تسحّب الولد على الوالـد. فقال: نِعْمَ أنتم الحيّ! إن كنتم لَفُـرسانـاً في الجاهليّـة [والإسلام]. ليحضرْ فهو آمِن. فأتوه به فبايعه. ثمّ أتته عدوان، فقـدّموا بين أيـديهم رجلاً جميلاً وسيماً، فقال عبد الملك:

عـذيـرَ الـحـيّ مِـنْ عَـدْوا	نَ كـانـوا حَـيّـةَ الأرْضِ[7]
بـغَـى بـعـضُـهـم بَـعـضـاً	فـلَـم يَـرْعُـوا[8] عـلى بَـعضِ
ومـنـهُـم كـانـتِ الـسّـادا	تُ والـمـوفـونَ بـالـقَـرْضِ[9]

ثمّ أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال: إيه! فقال: لا أدري. فقال مَعْبد بن خـالد الجدليُّ، وكان خلفه:

---

(١) في الأوربية: «أوتي».

(٢) في الأوربية: «تعدو».

(٣) في الأصل: «وكانوا يتحدّثون إلى حبي وهم».

(٤) في الأوربية: «الا صعد إلاّ أفكّها».

(٥) في الأوربية: «يتّقنّ».

(٦) في الأوربية: «رأيتم».

(٧) يقـال: هات عُـذراً فيما فعـل بعضهم ببعض من التباعـد والتباغض والقتـل بعدمـا كانـوا حيّة الأرض التي يجذرها كل أحد، والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب: حيّة الأرض.

(٨) في الأغاني: فلم يُبْقوا.

(٩) في الأوربية: «بالفرض».

ومنهم حَكَمٌ يَقضِي فلا يُنقَضُ[1] ما يَقضِي
ومنهم مَنْ يُجيزُ الحَجَّ[2] بالسُّنَّةِ والفَرْضِ
وهمْ مُذ وُلِدوا شَبُّوا بِسرٍّ[3] النَّسَبِ المَحضِ[4]

فأقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال: مَنْ هو؟ فقال: لا أدري. فقال مَعْبد من ورائه: هو ذو الإصبع، فأقبل على الجميل فقال: لِمَ تُسمّى ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري. فقال مَعْبد: لأنّ حيّة نهشت إصبعه فقطعتها. فأقبل على الجميل فقال: ما كان اسمه؟ قال: لا أدري. فقال مَعْبد: حَرْثان بن الحارث. فقال للجميل: من أيّكم هو؟ قال: لا أدري. فقال مَعْبد: من بني ناج. ثمّ قال للجميل: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة. قال لمعبد: كم عطاؤك؟ قال: ثلاثمائة. فقال لكاتبه: اجعلْ مَعْبداً في سبعمائة، وانقصْ من عطاء هذا أربعمائة، ففعل[5].

ثمّ جاءت كِندة فنظر إلى عبد الله بن إسحاق بن الأشعث، فأوصى به أخاه بِشر بن مروان. وأقبل داود بن قَحْذَم في جمْعٍ كثير من بكر بن وائل، عليهم الأقبية الداوديّة، وبه سُمّيت، فجلس مع عبد الملك على سريره، (فأقبل عليه عبد الملك)، ثمّ نهض ونهضوا معه، فقال عبد الملك: هؤلاء الفُسّاق، لولا أنّ صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة.

ثمّ ولّى قَطَنَ بن عبد الله الحارثيّ الكوفة، ثمّ عزله فاستعمل أخاه بِشْر بن مروان، ثمّ استعمل محمّد بن عُمير الهَمدانيّ على هَمَذان، ويزيد بن رُوَيْم عل الريّ، ولم يفِ لأحد شرط له أصبهان، وقال: عليّ بهؤلاء الفُسّاق الذين أنغلوا[6] الشام وأفسدوا العراق. فقيل: قد أجارهم رؤساء عشائرهم. فقال: وهل يجير عليّ أحد[7]؟

وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القَسْريّ قد لجأ إلى عليّ بن عبد الله بن عبّاس، ولجأ إليه أيضاً يحيى بن مَعْيوف الهمدانيُّ، ولجأ الهُذيل بن زُفَر بن الحارث،

---

(١) في الأوربية: «ينقص».
(٢) في الأغاني: «الناس» بدل «الحج».
(٣) في (ر): «نسير».
(٤) في الأوربية:
وهم من ولد واسنو لسير النسب المحض
والأبيات في: تاريخ الطبري ١٦٣/٦، والأغاني ٨٩/٣، ٩٠ باختلاف بيت عمّا هنا، وتقديم وتأخير.
(٥) قارن برواية الأغاني ٩٣/٣ حيث يختلف عطاؤهما عمّا هنا. والمثبت يتفق مع الطبري ١٦٣/٦، ١٦٤.
(٦) في الأوربية: «أمعلوا».
(٧) الطبري ١٦٤/٦، نهاية الأرب ١٢٨/٢١.

وكان مع عبد الملك، على ما نذكره، وعَمْرو بن يزيد[1] الحكميُّ إلى خالد بن يزيد، فآمنهم عبد الملك فظهروا[2]. فصنع عَمرو بن حُرَيث لعبد الملك طعاماً كثيراً، وأمر به إلى الخَورنق، وأذِنَ إذناً عامّاً، فدخل الناس وأخذوا مجالسَهم، فدخل عَمرو بن حُريث، فأجلسه معه على سريره، ثمّ جاءت الموائد فأكلوا، فقال عبد الملك: ما ألذّ عيشنا لو دام، لوكنّا كما قال الأوّل:

وكلّ جديدٍ يا أُميمَ إلى بِلًى ... وكلّ امرىءٍ يصيرُ يوْماً إلى كانْ[3]

فلمّا فرغوا من الطعام طاف عبد الملك في القصر، وعَمرو بن حُرَيث معه وهو يسأله: لمن هذا البيت؟ ومَنْ بنى هذا البيت؟ وعَمرو يُخْبره، فقال عبد الملك:

اعمَلْ على مَهلٍ فإنّك مَيّتٌ ... واكدَحْ لنفسِكَ أيّها الإنسانْ

فكأنّ ما قد كان لم يكُ إذ مضَى ... وكأنّ ما هو كائنٌ قد كانْ[4]

ولما بلغ عبدَ الله بن خازم مسيرُ مُصْعب لقتال عبد الملك قال: أَمَعَه عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر؟ قيل: لا، استعمله على فارس. قال: أَمَعَه المهلّب؟ قيل: لا، استعمله على الخوارج. قال: أَمَعَه عبّاد بن الحُصين؟ قيل: استخلفه على البصرة. قال: وأنا بخُراسان.

خُذيني فجُرّيني[5] جَعارِ[6] وأبشري ... بلَحمِ[7] امرىءٍ لم يشهَدِ اليوْمَ ناصرُهْ[8]

ولما قُتل مُصْعب بعث عبد الملك رأسه إلى الكوفة، أو حمله معه إليها، ثمّ بعث به إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر، فلمّا رآه وقد قطع السيف أنفه قال: رحِمك الله! أمَا والله لقد كنتَ من أحسنهم خلقاً وأشدّهم بأساً وأسخاهم نفساً. ثمّ سيّره إلى الشام فنُصب بدمشق، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام، فأخذتْهُ عاتكةُ بنت يزيد بن

---

(١) الطبري: «زيد».
(٢) حتى هنا عند الطبري ٦/١٦٤.
(٣) الطبري ٦/١٦٧.
(٤) ابطبري ٦/١٦٧.
(٥) في (آ): «فحرني»، و(ب): «فحربني».
(٦) في تاريخ الإسلام «ضباع».
(٧) في الأوربية: «بلجم».
(٨) البيت والخبر في: أنساب الأشراف ٥/٣٤٥ و٣٤٨، والكامل في اللغة والأدب للمبرّد ٣/٥، وأمالي الشجري ٢/١١٣، وتاريخ الطبري ٦/١٥٨، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠٣، ٣٠٤، ولسان العرب، مادّة «جر» ومادّة «جرر».

معاوية زوجة عبد الملك بن مروان، وهي أمّ يزيد بن عبد الملك، فغسّلته ودفنتْه وقالت: أما رضيتم بما صنعتم حتّى تطوفوا به في المدن؟ هذا بغيٌ.

وكان عُمْر مُصْعب حين قُتل ستّاً وثلاثين سنة.

قال يوماً عبد الملك لجلسائه: مَنْ أشدّ النّاس[1]؟ قالوا: أمير المؤمنين. قال: اسلكوا غير هذا الطريق. قالوا: عُمَير بن الحُباب. قال: قبّح الله عميراً! لصّ، ثوبٌ ينازع عليه أعزّ عنده من نفسه ودينه. قالوا: فشَبيب. قال: إنّ للحَروريّة لطريقاً. قالوا: فمَنْ؟ قال: مُصْعب كان عنده عقيلتا قريش سُكَينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ثمّ هو أكثر الناس مالاً، جعلتُ له الأمان وولاية العراق، وعلم أنّي سأفي له للمودّة التي كانت بيننا، فحمى أنفاً وأبَى وقاتل حتّى قُتل. فقال رجل: كان مُصْعب يشرب النّبيذ. قال: كان ذلك قبل أن يطلب المروءة، فأمّا مُذ طلبها فلو علم أنّ الماء يُنقص مروءته ما ذاقه. قال الأُقَيْشِر[2] الأسديُّ:

حمَى أنفَه أن يقبلَ الضّيمَ مصعبٌ ... فماتَ كريماً لم تُذَمَّ خلائقُهْ
ولو شاء أعطى الضّيم مَن رام هضمَه ... فعاشَ مَلوماً في الرّجال طرائقُهْ
ولكن مضَى والبرْقُ[3] يبرقُ خالُهُ ... يشاورُهُ[4] مَرّاً ومَرّاً يُعانِقُهْ
فولّى كريماً لم تَنَلهُ مذَمّةٌ[5] ... ولم يكُ رَغداً تَطَّبِيهِ نَمارِقُهْ[6]

وقال عَرْفَجة بن شريك:

ما لابنِ مَروانَ أعمى اللّهُ ناظرَهُ ... ولا أصابَ رَغيباتٍ ولا نَفَلا
يرْجو الفلاحَ ابنُ مروان وقد قتلتْ ... خيلُ ابنِ مروانَ حرّاً[7] ماجداً بطَلا
يا ابنَ الحَواريّ كمْ من نعمةٍ لكمُ ... لو رامَ غيرُكمُ أمثالَها شُغِلا
حُمّلتُمُ فحَمَلتُمْ كلَّ مُعْضِلَةٍ[8] ... إنّ الكريمَ إذا حَمّلتَهُ حَمَلا[9]

---

(١) الأوربية: «البأس».

(٢) في طبعة صادر ٣٣٣/٤ «الأقشر»، وهو وهْم، والتصحيح من مصادر ترجمته، أنظر: معجم الشعراء للمرزباني ٣٦٩، والمؤتلف والمختلف للآمدي ٥٦، وسمط اللآلي ٢٦١، والأغاني ٢٣٥/١١، والشعر والشعراء ٤٦٣/٢، ومعاهد التنصيص ٢٤٣/٣، وخزانة الأدب ٢٧٩/٢، وغيره.

(٣) في أنساب الأشراف: «والموت».

(٤) في الأنساب: «يساوره» بالسين المهملة.

(٥) في الأنساب: «مذلّة».

(٦) أنساب الأشراف ٣٤٣/٥.

(٧) في الأوربية «حرفاً»، وفي أنساب الأشراف «خِرْقاً».

(٨) في الأوربية: «مفضلة».

وقال عبد الله بن الزَّبِير الأسديّ في إبراهيم بن الأشتر، هذا الزَّبِير: بفتح الزّاي وكسر الباء:

سأبكي وإنْ لم تبكِ فِتيانُ مَذْحِجٍ فتاها إذا اللّيلُ[1] التِّمامُ[2] تأوّبا
فتًى لم يكنْ في مِرّةِ الحرْبِ جاهلاً ولا بمطيعٍ في الوَغَى مَن تَهَيّبا
أبانَ أُنوفَ الحيِّ قَحطانَ قتْلُهُ وأنْفَ نِزارٍ قد أبانَ فأوعَبا[3]
فمَنْ يَكُ أمسَى خائناً[4] لأميرِهِ فما خانَ إبراهيمُ في الموْتِ مُصعبَا[5]

وحين قُتل مُصْعب كان المهلّب يحارب الأزارقة بسُولاف، (بلد بفارس على شاطىء البحر)[6]، ثمانية أشهر، فبلغ قتله الأزارقة قبل المهلّب، فصاحوا بأصحاب المهلّب: ما قولكم في مُصْعب؟ قالوا: أميرُ هدى[7]، وهو وليّنا في الدنيا والآخرة، ونحن أولياؤه. قالوا: فما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: ذاك ابنُ اللّعين، نحن نبرأ إلى الله منه، وهو أحلّ دماً منكم. قالوا: فإنّ عبد الملك قتل مُصعباً، وستجعلون غداً عبد الملك إمامكم. فلمّا كان الغد سمع المهلّب وأصحابه قتل مُصْعب، فبايع المهلّب الناس لعبد الملك بن مروان، فصاح بهم الخوارج: يا أعداء الله! ما تقولون في مُصْعب؟ قالوا: يا أعداء الله لا نُخْبركم. وكرهوا أن يكذّبوا أنفسهم. قالوا: وما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: خليفتنا. ولم يجدوا بُدّاً[8] إذ بايعوه أن يقولوا ذلك. قالوا: يا أعداء الله! أنتم بالأمس تبرأون منه في الدنيا والآخرة، وهو اليوم إمامكم، وقد قتل أميركم الّذي كنتم تولّونه! فأيّهما المهتدي وأيّهما المُبْطِل؟ قالوا: يا أعداء الله رضينا بذلك إذ كان يتولّى أمرنا ونرتضي[9] بهذا. قالوا: لا والله ولكنّكم إخوان الشياطين وعبيد الدنيا.

وأمّا عبد الله بن الزّبير فلمّا انتهى إليه قتْل أخيه مُصْعب قام في الناس فخطبهم فقال:

---

(٩) أنساب الأشراف ج ٣٤٣/٥ وفيه: «احتملا».

---

(١) في (ب): «النبل».
(٢) في الأوربية: «النّمام».
(٣) في الأوربية: «فأرعبا».
(٤) في الأوربية: «خائباً».
(٥) أنساب الأشراف، ج ٣٤٢/٥.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) في (ب): «هدل».
(٨) الأوربية: «أبداً».
(٩) الأوربية: «ويرتضي».

الحمد لله الذي له الخلق والأمر، يُؤتي الملك مَنْ يشاء، ويَنْزِع الملك ممَّنْ يشاء، ويُعزّ مَنْ يشاء ويُذلّ مَن يشاء، ألا وإنّه لم يُذْلِلِ اللَّهُ مَنْ كان الحقّ معه وإن كان فرداً، ولم يُعْزِزْ مَن كان وليُّه الشيطان وإن كان الناس معه طُرّاً[1]، ألا وإنّه قد أتانا من العراق خبرٌ أحزننا[2] وأفرحنا، أتانا قتْل مُصْعب، رحِمه الله، وأمّا الذي أفرحنا فعِلْمُنا أنّ قتله شهادة، وأمّا الذي أحزننا[2] فإنّ لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، يرعوي بعدها ذوو الرأي الجميل إلى الصبر وكريم العزاء[3]، وما مُصْعب إلّا عبد من عبيد الله وعَوْنٌ من أعواني، ألا وإنّ أهل العراق أهل الغدر والنفاق، أسلموه وباعوه بأقلّ الثمن، فإن يُقْتَلْ[4] فَمَهْ! والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص! والله ما قُتل رجل منهم في زحف في الجاهليّة ولا في الإسلام، ولا نموت إلّا قَعْصاً[5] بالرماح وتحت ظلال السيوف، ألا إنّما الدنيا عاريّة من المَلِك الأعلى الذي لا يزول سلطانه، ولا يَبِيد مُلكه، فإن تُقبِل لا آخذها أخذ البَطِر[6]، وإن تُدبِر لم أبكِ عليها بكاء الضَّرِع[7] المَهِين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[8].

حَجّار بن أبجر: بفتح الحاء المهملة، وتشديد الجيم، وكنيته أبو أُسَيد بضمّ الهمزة، وفتح السين. وحُبّى: بضمّ الحاء المهملة، وبالياء الموحّدة المشدّدة الممالة، وآخره ياء مثناة من تحتها. وعبد الله بن خازم: بالخاء المعجمة والزاي.

ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة

وفي هذه السنة تنازع ولاية البصرة حُمْران بن أبان وعُبيدُ الله بن أبي بَكرة، فقال ابن أبي بَكرة: أنا أعظم منك، كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجُفْرة. فقيل لحُمْران: إنّك لا تقوى على ابن أبي بَكرة فاستعِنْ بعبد الله بن الأهيم[9]. فاستعان به،

(١) الطبري: «من كان وليّه الشيطان وحزبه وإن كان معه الأنام طُرّاً».

(٢) الطبري: «حَزَننا».

(٣) الطبري: «ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء، ولئن أُصِبْت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان بخِلْو مصيبة».

(٤) الأوربية: «يقبل».

(٥) القَعْص: الموت السريع.

(٦) الطبري: أخذ الأشِر البطِر.

(٧) الطبري «الحَرِق».

(٨) الطبري ٦/١٦٦، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) باختصار شديد، عيون الأخبار ٢/٢٤٠، ٢٤١، العقد الفريد ٢/١٨٣، مروج الذهب ٣/١١٩.

(٩) في الأصول: «الأهثم».

فغلب على البصرة وعبد الله على شُرَطها، وكان لحُمْران منزلة عند بني أميّة، وكانت هذه المنازعة بعد قتل مُصْعب.

فلمّا استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسَيد، فوجّه خالدٌ عُبيدَ الله بن أبي بَكرة إليها خليفةً له، فلمّا قدِم على حُمران قال: أقد جئت لا جئت[1]! فكان عُبيد الله عليها حتّى قدِم خالد[2]، ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد إلى الشام.

ذكر أمر عبد الملك وزُفَر بن الحارث

قد ذكرنا في وقعة راهط مسير زُفَر إلى قَرْقِيسيا واجتماع قيس عليه، والسبب في استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك، وكان على بيعة ابن الزّبير وفي طاعته. فلمّا مات مروان بن الحكَم ووليَ ابنُه عبدُ الملك كتب إلى أبان بن عُقْبَة بن أبي مُعَيط وهو على حِمْص يأمره أن يسير إلى زُفَر، فسار إليه وعلى مقدّمته عبدُ الله بن زميت الطائيُّ، فواقع عبد الله زُفَر قبل وصول أبان، وكثُر في أصحابه القتل، قُتل منهم ثلاثمائة، فلامه أبان على عجلته، وأقبل أبان فواقع زُفَر، فقتل ابنه وكيع بن زُفَر، وأدركت طيّء ثَقَل زُفَر ونساءه، فاستوهب محمّد بن حُصَين بن نُمَير النساء وألحقهنّ بزُفر بقرقيسيا، فقال زُفر:

عَلِقْنَ بحبَلٍ من حُصَينٍ لوَ أنّهُ ... تغيّب حالتْ دونَهنّ المصائِرُ
أبُوكم أبونا في القَديمِ وإنّني ... لغابركم في آخرِ الدّهرِ شاكرُ

وكان يقال لزُفر إنّه من كِنْدة.

ثمّ[3] إنّ عبد الملك لما أراد المسير إلى مُصْعب سار إلى قرقيسيا، فحصر زُفر فيها ونصب عليها المجانيق، فأمر زُفر أن ينادى [في] عسكر عبد الملك: لِمَ نصبتم علينا المجانيق؟ قال: لنثلم ثلمةً نقاتلكم عليها. فقال زُفر: قولوا لهم فإنّا لا نقاتلكم من وراء الحيطان، ولكنّا نخرج إليكم. وثلمت المنجنيق من المدينة برجاً ممّا يلي حُرَيْث بن بَحْدل، فقال زُفر:

لقد تركتَني منجنيقُ ابنِ بَحْدَلٍ ... أحيدُ عنِ العُصفورِ حينَ يَطِيرُ[4]

---

(١) في الأوربية: «لا جبت».
(٢) الطبري ١٦٥/٦.
(٣) من هنا الخبر في: أنساب الأشراف.
(٤) الأوربية: «تطير».

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مُجِدّاً في قتالهم، فقال رجل من أصحاب زُفَر من بني كلاب: لأقولنّ لخالد كلاماً لا يعود إلى ما يصنع. فلمّا كان الغد خرج خالد للمحاربة، فقال له الكلابيُّ:

ماذا ابتغاءُ خالدٍ وهمُّهُ إذْ سُلبَ المُلكَ ونيكتْ أُمُّهْ

فاستحيا وعاد، ولم يرجع يقاتلهم[1].

وقالت كلب[2] لعبد الملك: إنّا إذا لقينا زُفر انهزمت القيسيّة الذين معك، فلا تخلطْهم معنا. ففعل، فكتبت القيسيّة على نَبْلها: إنّه ليس يقاتلكم غداً مُضَرِيٌّ، ورموا النّبل إلى قَرْقِيسيا، فلمّا أصبح زُفَر دعا ابنَه الهُذَيل، وبه كان يُكَنّى، وقيل: [كان] يكنّى أبا الكَوْثر[3]، فقال: اخرجْ إليهم فشُدَّ عليهم شدّةً لا ترجع حتّى تضرب فُسطاط عبد الملك، والله لئن رجعتَ دون أن تطأ أطناب فُسطاطه لأقتلنّك. فجمع الهُذَيل خيله وحمل عليهم، فصبروا قليلاً ثمّ انكشفوا، وتبِعهم الهُذَيلُ بخيله حتّى وطِئوا أطنابَ الفسطاط وقطعوا بعضها، ثمّ رجعوا، فقبّل زُفر رأس الهُذَيل وقال: لا يزال عبد الملك يحبّك بعدها أبداً. فقال الهُذَيل: والله لو شئتَ أن أدخل الفُسطاط لفعلتُ. فقال زُفر:

ألا لا أُبالي مَنْ أتاهُ حِمامُهُ إذا ما المَنايا عن هُذيلٍ تجلّتِ

تَراهُ أمامَ الخَيلِ أوّلَ فارسٍ ويضربُ في أعجازِها إنْ تولّتِ[4]

ولما ثُلِم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعضُ أهله: لو قاتلتَهم بقُضاعة لملكتَهم. ففعل وقاتلهم، فلمّا كان عند المساء انكشفت قُضاعة وكثُر القتل فيهم، وأقبل رَوْح بن زِنْباع الجُذاميُّ إلى برج منها، فسأل أهله وقال: نشدتكم اللَّهَ، كم قتلنا منكم؟ قالوا: والله لم يُقْتَل منّا أحد، ولم يُجْرح إلاّ رجل واحد، ولا بأسَ عليه، ثمّ قالوا: نشدناك الله، كم قُتل منكم؟ قال: عدّة فرسان، وجرحتم ما لا يُحْصَى، فلعن الله ابن بَحْدل!

ورجع رَوْح إلى عبد الملك وقال: إنّ ابن بَحْدلُ يمنّيك الباطل، فأعرِضْ عن هذا الرجل[5].

وكان رجل من كلب يقال له الذّيّال يخرج فيسبّ زُفَر فيُكْثر، فقال زُفر للهُذَيل ابنه

---

(١) أنساب الأشراف ج ٥/٣٠١، ٣٠٢.

(٢) وردت في بعض الأصول: «الكلب» و«الكلبية».

(٣) والأول أثبت، كما في: أنساب الأشراف ٥/٣٠٢.

(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٠٣.

(٥) أنساب الأشراف ج ٥/٣٠٢ ـ ٣٠٤.

أو لبعض أصحابه: أما تكفيني هذا؟ قال: أنا أجيئك به. فدخل عسكر عبد الملك ليلاً فجعل ينادي: مَنْ يعرف بغلاً من صفته كذا وكذا؟ حتّى انتهى إلى خباء الرجل وقد عرفه. فقال الرجل: ردّ الله عليك ضالّتك. فقال: يا عبد الله إنّي قد عييتُ[1]، فلو أذِنتَ لي فاسترحتُ قليلاً. قال: ادخلْ، فدخل والرجل وحده في خبائه، فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء، فقام إليه فأيقظه وقال: والله لئن تكلّمتَ لأقتلنّك[2]. قال: قُتلت أو سلِمت، فماذا ينفعك قتلي؟ (قال: لئن)[3] سكَتَّ وجئتَ معي إلى زُفَر، فلك عهدُ الله وميثاقه أن أردّك إلى عسكرك، بعد أن يصلك زُفر ويُحْسن إليك. فخرجا وهو ينادي: مَنْ دلّ على بغلٍ من صفته كذا وكذا؟ حتّى أتى زُفَر والرجل معه، فأعلمه أنّه قد آمنه، فوهب له زُفر دنانير، وحمله على رحالة النساء، وألبسه ثيابهنّ، وبعث معه رجلاً حتّى دنَوا من عسكر عبد الملك، فنادوا: هذه جارية قد بعث بها زُفَر إلى عبد الملك[4]. وانصرفوا، فلمّا نظر إليه أهل العسكر عرفوه، وأخبروا عبدَ الملك الخبر، فضحك وقال: لا يبعد الله رجلاً نصر، والله إنّ قتلهم لذُلّ، وإنّ تركهم لحسرة. وكفّ الرجل فلم يعُدْ يسبّ زُفر، وقيل: إنّه هرب من العسكر.

ثمّ إنّ عبد الملك أمر أخاه محمّداً أن يعرض على زُفر وابنه الهُذَيل الأمان على أنفسهما ومَن معهما ومالهم، وأن يُعطَيَا ما أحبّا. ففعل محمّد ذلك، فأجاب الهُذَيل وكلّم أباه وقال له: لو صالحتَ هذا الرجل فقد أطاعه الناسُ، وهو خير لك من ابن الزّبير. فأجاب على أنّ له الخيار في بيعته سنةً، وأن ينزل حيث شاء، ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزّبير. فبينا الرسُلُ تختلف بينهما[5] إذ جاءه رجل من كلب فقال: قد هُدم من المدينة أربعة أبراج. فقال عبد الملك: لا أصالحهم. وزحف إليهم، فهزموا أصحابه حتّى أدخلوهم عسكرهم. فقال: أعطوهم ما أرادوا. فقال زُفر: لو كان قبل هذا لكان أحسن. واستقرّ الصلح على أمان الجميع، ووضع الدّماء والأموال، وأن لا يبايع عبد الملك حتّى يموت ابن الزّبير للبيعة له في عُنقه، وأن يعطى مالاً يقسمه في أصحابه.

وخاف زُفَر أن يغدر به عبد الملك كما غدر بعَمْرو بن سعيد، فلم ينزل إليه، فأرسل إليه بقضيب النبيّ ﷺ، أماناً له، فنزل إليه، فلمّا دخل عليه أجلسه معه على سريره، فقال ابن عِضاة الأشعريّ: أنا كنتُ أحقّ بهذا المجلس منه. فقال زُفر: كذبتَ هناك، إنّي

---

(١) أنساب الأشراف «أعييت».
(٢) في الأوربية: «أقتلنّك».
(٣) في الأوربية: إذا قتلت أنت، ولئن.
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٠٤.
(٥) في الأوربية: «بينهم».

عاديت فضررت، وواليت فنفعت[1].

ولما رأى عبد الملك قلّة مَنْ مع زُفر قال: لو علمتُ أنه في هذه القلّة لحاصرتُه أبداً حتّى ينزل على حكمي. فبلغ قوله زُفر فقال: إن شئتَ رجعنا ورجعتَ. فقال: بل نَفي لك يا أبا الهُذَيل.

وقال له عبد الملك يوماً: بلغني أنّك من كِنْدة. فقال: وما خيرُ مَن لا يبغي حسداً، ولا يدّعي رغبة!

وتزوّج مَسلمة بن عبد الملك الربابَ[2] بنت زُفَر، فكان يؤذن لأخويها الهُذَيل والكَوْثر في أوّل الناس[3].

وأمر زُفر ابنَه الهُذَيل أن يسير مع عبد الملك إلى قتال مُصْعب، وقال له: أنت لا عهدَ عليك. فسار معه، فلمّا قارب مُصْعباً هرب إليه، وقاتل مع ابن الأشتر، فلمّا قُتل ابن الأشتر اختفى الهُذَيلُ بالكوفة حتّى استؤمن له من عبد الملك فآمنه[4]، كما تقدّم.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك قَيساريّة، في قول الواقديّ[5]. وفيها نزع ابنُ الزُّبير جابرَ بن الأسود بن عوْف عن المدينة، واستعمل عليها طلحة بن عُبيد الله بن عَوْف، وهو آخر والٍ[6] كان له على المدينة، حتّى أتاه طارق بن عَمْرو مولى عثمان، فهرب طلحةُ، وأقام طارق بها حتّى سار إلى مكّة لقتال ابن الزُّبير[7].

[الوَفَيات]

وفي إمارة مصعب مات البَراء بن عازب[8] بالكوفة. ويزيد بن مفرِّغ[9]، الحِمْيَريُّ

---

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٠٦.

(٢) في (آ) و (ر): «الريان».

(٣) أنساب الأشراف ٥/٣٠٧.

(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٥٠.

(٥) فتوح البلدان ١٦٩، الطبري ٦/١٦٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠١، نهاية الأرب ٢١/١٩٦.

(٦) في الأوربية: «آل».

(٧) الطبري ٦/١٦٦.

(٨) انظر عن (البراء بن عازب) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٦٥ رقم ١٤٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) هو: يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرّغ، وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٦٨ رقم ١٢١ وفيه مصادر ترجمته.

الشاعر بها أيضاً.

وعبد الله بن أبي حدْرد[1] الأسلميُّ، شهد الحُديبية وخَيبر.

وفي أيّامه مات شُتير بن شَكل[2] القيسيُّ الكوفيُّ، وهو من أصحاب عليّ وابن مسعود.

شُتَير: بضمّ الشين المعجمة، وفتح التاء فوقها نقطتان، وبعدها ياء تحتها نقطتان. وشَكل: بفتح الشين المعجمة، والكاف، وآخره لام.

---

(١) انظر عن (عبد الله بن أبي حدرد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٣٢ رقم ١٨٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (شتير بن شكل) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) وفيه مصادر ترجمته.

٧٢
ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر أمر الخوارج

لما استقرّ عبدُ الملك بالكوفة بعد قتل مُصْعب استعمل خالدَ بن عبد الله على البصرة، فلمّا قدِمَها خالد كان المهلّب يحارب الأزارقة، فجعله على خراج الأهواز ومعونتها، وسيّر أخاه عبد العزيز بن عبد الله إلى قتال الخوارج، وسيّر معه مُقاتلَ بن مِسمَع، فخرجا يطلبان الأزارقة، فأتت الخوارج من ناحية كَرمان إلى دارابجرد، وأرسل قَطَريُّ بن الفُجاءة المازنيُّ مع صالح بن مُخارق تسعمائة فارس، فأقبل يسير بهم حتّى استقبل عبدَ العزيز وهو يسير مهلاً على غير تعبية، فانهزم بالناس، ونزل مُقاتل بن مِسمَع، [فقاتل] حتّى قُتل، وانهزم عبد العزيز، وأُخذت امرأتُه ابنةُ المنذر بن الجارود، فأُقيمت فيمن يزيد، فبلغت قيمتها مائة ألف، فجاء رجل من قومها من رؤوس الخوارج فقال: تنحّوا هكذا، ما أرى هذه المشركة إلاّ قد فتنتكم! وضرب عنقها، ولحِق بالبصرة، فرآه آل المنذر فقالوا: والله ما ندري أنحمدك أم نذمّك! فكان يقول: ما فعلته إلاّ غَيْرةً وحَمِيّة[1].

وانتهَى عبد العزيز إلى رامَهُرْمز، وأتَى المهلّبَ خبرُه، فأرسل إليه شيخاً من الأزد وقال له: إن كان منهزماً فعزِّه. فأتاه الرجل فرآه نازلاً في نحو ثلاثين فارساً كئيباً حزيناً، فأبلغه الرسالة، وعاد إلى المهلّب بالخبر، فأرسل المهلّبُ إلى أخيه خالد بن عبد الله يُخْبره بهزيمته. فقال للرسول: كذبتَ. فقال: والله ما كذبتُ، فإن كنتُ كاذباً فاضربْ عنقي، وإن كنتُ صادقاً فأعطني جُبّتك ومُطْرَفك[2]. قال: قد رضيتَ من[3] الخطر العظيم بالخطر اليسير. وحبسه وأحسن إليه حتّى صحّ خبر الهزيمة[4].

---

(١) الطبري ٦/١٦٨، ١٦٩.

(٢) في الأوربية: «ومطرقك».

(٣) الطبري ٦/١٧٠ «مع».

(٤) الطبري ٦/١٦٩، ١٧٠.

قال ابن قيس الرُّقَيّات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته:

عبـدَ العـزيـزِ فضَحتَ جَيشكَ كلّهمْ ... وتـركـتَهـم صَـرْعى بـكُـلّ سَبيـلِ
من بين ذي عَـطَشٍ يجـودُ بـنَفسِـهِ ... ومُـلَحَّبٍ[1] بيـنَ الـرِّجـالِ قَـتيـلِ
هَـلاّ صَبرْتَ مـعَ الشّهيـدِ مُقـاتِـلاً ... إذْ رُحتَ منتكثَ القُـوَى[2] بـأصيـلِ
وتـركـتَ جَيشَـكَ لا أميـرَ عـلَيهـمُ ... فـارجِـعْ بعـارٍ في الحَياةِ طَـويـلِ
ونَسيتَ عِـرسَـك إذ تُقـادُ سبيّـةً ... تَبكي العيـونُ بـرَنّـةٍ وعَـويـلِ[3]

فكتب خالد إلى عبد الملك يُخْبره بذلك، فكتب إليه عبدُ الملك: قد عرفتُ ذلك، وسألتُ رسولَك عن المهلّب، فأخبرني أنّه عامل على الأهواز، فقبّح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيّاً من أهل مكّة على القتال، وتدَعُ المهلّب يجبي الخراج، وهو الميمونُ النقيبة، المقاسي للحرب، ابنها وابن أبنائها، أرسلْ إلى المهلّب يستقبلهم، وقد بعثتُ إلى بِشْر بالكوفة ليُمِدّك بجيش، فسِرْ معهم، ولا تعملْ في عدوّك برأي حتّى يحضره المهلّب، والسّلام[4].

وكتب عبد الملك إلى بِشر أخيه بالكوفة يأمره بإنفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج، فإذا قضوا غزوتهم ساروا إلى الريّ، فقاتلوا عدوّهم، وكانوا مَسْلحةً. فبعث بِشْر خمسة آلاف، وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فكتب له عهداً على الريّ عند الفراغ من قتاله.

وخرج خالد بأهل البصرة حتّى قدِم الأهواز، وقدِمَها عبد الرحمن بن محمّد في أهل الكوفة، وجاءت الأزارقة حتّى دنَوا من الأهواز، فقال المهلّب لخالد: إنّي أرى ها هنا سفناً كثيرة، فضُمّها إليك فإنّهم سيحرقونها، فلم يمضِ إلاّ ساعة حتّى أرسلوا إليها فأحرقوها.

وجعل خالدُ المهلّبَ على ميمنته، وعلى ميسرته داود بن قَحْذَم من بني قيس بن ثعلبة، ومرّ المهلّب على عبد الرحمن بن محمّد ولم يخندق عليه، فقال: ما يمنعك من الخندق؟ فقال: هم أهون عليّ من ضرطة[5] الجمل. قال: لا يهونوا عليك، فإنّهم سباع العرب[6].

---

(١) المُلَحَّب: الذي قطعه السيف.

(٢) في الأوربية: «القرى».

(٣) ديوان ابن قيس الرقيّات ١٩٠، الطبري ١٧٣/٦.

(٤) راجع نص الكتاب عند الطبري ١٧١/٦.

(٥) في الأوربية: «ضرط». وقوله في: مجمع الأمثال للميداني ٤٠٩/٢.

(٦) الطبري ١٧١/٦، ١٧٢.

ولم يبرح المهلّب حتّى خندق عبد الرحمن عليه، فأقاموا نحواً من عشرين ليلة، ثمّ زحف خالد إليهم بالناس، فرأوا أمراً هالهم من كثرة الناس، فكثُرت عليهم الخيل وزحفت إليهم، فانصرفوا كأنّهم على حامية وهم مولّون لا يرون طاقةً بقتال جماعة الناس، فأرسل خالد داود بن قَحْذَم في آثارهم، وانصرف خالد إلى البصرة، وسار عبد الرحمن إلى الريّ، وأقام المهلّب بالأهواز، وكتب خالد إلى عبد الملك بذلك.

فلمّا وصل كتابه إلى عبد الملك كتب إلى أخيه بِشر يأمره أن يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، مع رجلٍ بصيرٍ بالحرب إلى فارس في طلب الأزارقة، ويأمر صاحبه بموافقة داود بن قَحْذم إنْ اجتمعا. فبعث بِشر عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، فساروا حتّى لحِقوا داود فاجتمعوا، ثمّ اتبعوا الخوارج حتّى هلكت خيولُ عامّتهم، وأصابهم الجوع والجهد، ورجع عامّة الجَيْشين مُشاة إلى الأهواز[1].

[خروج أبي فُدَيك الخارجيّ]

وفي هذه السنة كان خروج أبي فُدَيْك الخارجيّ، وهو من بني قيس بن ثعلبة، فغلب على البَحْرَين، وقتل نَجْدَة بن عامر الحَنَفيّ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قَطَريّ الأهواز وأمرُ أبي فُدَيك، فبعث أخاه أميّة بن عبد الله في جُندٍ كثيف إلى أبي فُديك، فهزمه أبو فُديك، وأخذ جاريةً له فاتّخذها لنفسه، فكتب خالد إلى عبد الملك بذلك[2].

ذكر قتل عبد الله بن خازم

ولما قُتل مُصْعَب كان ابن خازم يُقاتل بَحِير بن ورقاء الصُّرَيْميَّ التّميميّ بنيسابور، فكتب عبد الملك إلى ابن خازم يدعوه إلى البيعة له ويُطْعِمه[3] خراسان سبْع سنين، وأرسل الكتاب مع سوادة بن أشتم النُّميريّ، وقيل: مع مُكمّل الغَنَويّ فقال ابن خازم: لولا أن أُضرّب بين [بني] سُلَيم و[بني] عامر لقتلتك، ولكن كُلْ كتابك، فأكله[4].

وقيل: بل كان الكتاب مع سَوَادة بن عُبيد الله النُّميريّ، وقيل: مع مكمّل الغنويّ، فقال له ابن خازم: إنّما بعثك أبو الذِّبّان لأنّك من غَنِيّ، وقد علم أنّي لا أقتل رجلاً من قيس، ولكن كُلْ كتابه[5].

---

(1) الطبري ٦/١٧٢، ١٧٣.

(2) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٣، الطبري ٦/١٧٤، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ) ص ٣٠٧.

(3) في (ر): «ويطمعه».

(4) الطبري ٦/١٧٦.

(5) الطبري ٦/١٧٦.

وكتب عبدُ الملك إلى بُكَير بن وَسَّاج، وكان خليفة ابن خازم على مَرْو، بعهده على خُراسان، ووعده ومنّاه، فخلع بُكَيرٌ عبدَ الله بن الزّبَير، ودعا إلى عبد الملك، فأجابه أهلُ مَرْو، وبلغ ابنَ خازم، فخاف أن يأتيه بُكَير فيجتمع عليه أهلُ مَرو وأهلُ نَيْسابور، فترك بَحيراً وأقبل إلى مَرْو ويزيد ابنُه بترمِذ، فاتبعه بَحير، فلحِقه بقريةٍ على ثمانية فراسخ من مَرْو، فقاتله ابن خازم، فقُتل ابنُ خازم؛ وكان الذي قتله وَكيع بن عَمْرو القُرَيْعيّ، أعثره[1] وكيع، وبَحير بنِ ورقاء، وعمّار بن عبد العزيز، فطعنوه فصرعوه، وقعد وكيع على صدره فقتله. فقال بعضُ الولاة لوكيع: كيف قتلتَه؟ قال: غلبتُه بفضل القنا[2]، فلمّا صُرِعَ قعدتُ على صدره، فلم يقدر [أن] يقوم، وقلتُ: يا لثارات دويلة[3]! وهو أخو وكيع لأمّه، قُتل في بعض تلك الحروب. قال وكيع: فتنخّم في وجهي وقال: لعنك الله! أتقتل كبْش مُضر بأخيك وهو لا يساوي كفّاً من نَوى؟ أو قال: من تراب. قال: فما رأيتُ أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت[4].

وبعث بَحِيرٌ ساعةَ قُتل ابنُ خازم إلى عبد الملك يُخبره بقتله، ولم يبعث بالرأس، وبعث بَحيرٌ بُكَيرَ بن وَسَّاج في أهل مَرْو، فوافاهم حين قُتل ابنُ خازم، فأراد أخذ الرأس وإنفاذه إلى عبد الملك، فمنعه بَحير، فضربه بُكير بعمود وحبسه، وسيّر الرأس إلى عبد الملك، وكتب إليه يخبره أنّه هو الذي قتله. فلمّا قدِم الرأسُ دعا عبد الملك برسول بَحير وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارقتُ القوم حتّى قُتل ابن خازم[5].

وقيل: إن ابن خازم إنّما قُتل بعد قتل عبد الله بن الزُّبَير، وإنّ عبد الملك أنفذ إليه رأس ابن الزّبير ودعاه إلى نفسه، فغسل الرأسَ وكفّنه وبعثه إلى أهله بالمدينة، وأطعم الرسول الكتابَ، وقال: لولا أنّك رسول لقتلتك[6]. وقيل: بل قطع يديه ورِجْليه وقتله، وحلف أن لا يطيع عبدَ الملك أبداً[7].

(بَحِير: بفتح الباء الموحّدة، وكسر الحاء المهملة).

---

(١) في الأوربية: «أعثروه».
(٢) في الأوربية: «بنصل القناء».
(٣) في الأوربية: «دوبلة».
(٤) الطبري ٦/١٧٦، ١٧٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠٨.
(٥) الطبري ٦/١٧٧، تاريخ الإسلام ٣٠٨.
(٦) الطبري ٦/١٧٨، تاريخ الإسلام ٣٠٨، ٣٠٩.
(٧) الطبري ٦/١٧٨، نهاية الأرب ٢١/١٣٢، ١٣٣.

ذكر عدّة حوادث

كان العامل على المدينـة طارقـاً لعبد الملك، وعلى الكـوفة بِشـر بن مروان، وعلى قضائها عُبيـد الله بن عبد الله بن عُتْبَة، وعلى البصرة خـالد بن عبـد الله، وعلى قضائهـا هشام بن هُبَيرة، وعلى خُـراسان، في قـول بعضهم: بُكَير بن وَسَّـاج، وفي قول بعضهم: عبد الله بن خازم[1].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات عَبِيدة السّلمانيُّ[2]، وهو من أصحاب عليّ.

عَبِيدة: بفتح العين، وكسر الباء الموحدة.

---

(١) الطبري ٦/١٧٨.

(٢) انظر عن (عَبيدة السلماني) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٨٢ رقم ٢١٤ وفيه مصادر ترجمته.

٧٣
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر قتْل عبد الله بن الزّبَير

لما بُويع عبد الملك بالشام بعث إلى المدينة عُروة بن أُنَيف في ستّة آلاف من أهـل الشام، وأمره أن لا يدخل المدينة، وأن يعسكر بالعَرْصة، وكـان عامـل عبد الله بن الـزُّبير على المدينة الحارث بن حاطب بن الحـارث بن مَعمَر الجُمَحيّ، فهـرب الحارث، وكـان ابن أُنَيف يدخل ويصلّي بالناس الجُمعة، ثمّ يعود إلى معسكـره، فأقـام شهراً، ولم يبعث إليهم ابنُ الزُّبير أحداً.

وكتب إليه عبد الملك بـالعَود إليـه، فعاد هـو ومَنْ معه، وكـان يصلّي بالنـاس بعده عبد الرحمن بن سعد القُرَظيُّ، ثمّ عاد الحارث إلى المدينة، وبعث ابنُ الزبير سليمانَ بن خالد الزُّرَقيَّ الأنصاريَّ، وكـان رجلاً صـالحاً عـاملاً على خَيبـر وفَدَك، فنـزل في عمله، فبعث عبـدُ الملك عبدَ الـواحد بن الحـارث بن الحكَم، وقيل: اسمـه عبـد الملك، وهـو أصحّ، في أربعة آلاف، فسار حتّى نزل وادي القُرى، وسيّر سـريّةً عليهـا أبو القمقـام في خمسمـائة إلى سليمـان، فوجـدوه قد هـرب، فطلبـوه فأدركـوه، فقتلوه ومن معه. فـاغتمّ عبد الملك بن مروان لقتله وقال: قتلوا رجلاً مسلماً صالحاً بغير ذنْب.

وعزل ابنُ الزّبير الحارثَ واستعمل مكانَه جابر بن الأسود بن عوْف الزُّهـريَّ، فوجّـه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستّمائة فارس وأربعين فارساً إلى خَيبر، فـوجدوا أبـا القمقام ومَن معهَ مقيمين بفَدَك يعسفـون الناس، فقـاتلوهم، فانهـزم أصحابُ أبي القمقـام، وأسر منهم ثلاثون رجلاً فقُتلوا صبراً. وقيل: بل قُتل الخمسمائة أو أكثرهم.

ووجّـه عبـدُ الملك طـارقَ بن عَمْـرو مـولى عثمـان وأمـره أن ينـزل بين أيْلة ووادي القرى، ويمنع عُمّالَ ابن الزّبيـر من الانتشار، ويسـدّ خللاً إن ظهر لـه. فوجّـه طارق إلى أبي بكر خيلاً، فاقتتلوا، فأُصيب أبو بكر في المعركة، وأُصيب من أصحابه أكثر من مائتيْ رجل.

وكان ابن الزبير قد كتب إلى القُباع أيّام كان عامله على البصرة يأمره أن يرسل إليه ألفَيْ فارس ليعينوا عامله على المدينة، فوجّه إليه ألفَيْ رجل، فلمّا قُتل أبو بكر أمر ابنُ الزّبير جابرَ بن الأسود أن يسيّر جيش البصرة إلى قتال طارق، فسار البصريّون عن المدينة، وبلغ طارقاً الخبرُ، فسار نحوه، فالتقيا، فقُتل مقدّم البصريّين، وقُتل أصحابه قتلاً ذريعاً، وطلب طارق مُدْبِرَهم، وأجهز على جريحهم، ولم يستبقِ أسيرهم[1].

ورجع طارق إلى وادي القرى، وكان عامل ابن الزّبير بالمدينة جابر بن الأسود، وعزل ابنُ الزّبير جابراً، واستعمل طلحةَ بن عُبيد الله بن عَوْف، الذي يُعْرَف بطلحة النَّدَى، سنة سبعين، فلم يزل على المدينة حتّى أخرجه طارق.

فلمّا قتل عبدُ الملك مُصْعَباً، وأتَى الكوفة وجّه منها الحجّاجَ بن يوسف الثقفيَّ في ألْفين، وقيل: في ثلاثة آلاف، من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزّبير. وكان السبب في تسييره دون غيره أنّه قال لعبد الملك: قد رأيتُ في المنام أنّي أخذتُ عبد الله بن الزّبير فسلخته، فابْعثني إليه ولِّني قتاله. فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزّبير ومَنْ معه إن أطاعوا، فسار في جُمادَى الأولى سنة اثنتَين وسبعين، ولم يعرض للمدينة، ونزل الطائف، وكان يبعث الخيلَ إلى عَرَفة، ويبعثُ ابنُ الزّبير أيضاً فيقتتلون بعَرَفة، فتنهزم خيل ابن الزبير في كلّ ذلك، وتعود خيلُ الحجّاج بالظَّفَر[2].

ثمّ كتب الحجّاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحَرَم وحصر ابن الزّبير، ويُخْبره بضعفه وتفرّق أصحابه ويستمدّه، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللّحاق بالحجّاج، فقدِم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتَين وسبعين، وأخرج عاملَ ابن الزبير عنها، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة، فكان ثعلبة يُخْرِج[3] المُخّ وهو على مِنبر النبيّ ﷺ، ثمّ يأكله ويأكل عليه التَمر ليغيظ أهلَ المدينة، وكان مع ذلك شديداً على أهل الزّبير[4]، وقدِم طارق على الحجّاج بمكّة في سَلْخ ذي الحجّة في خمسة آلاف.

وأمّا الحجّاج فإنّه قدِم مكّة في ذي القعدة، وقد أحرم بحَجّة، فنزل بئر ميمون، وحجّ بالناس تلك السنة الحَجّاج، إلاّ أنّه لم يَطُفْ بالكعبة، ولا سعى بين الصَّفا والمَرْوَة، منعه ابن الزّبير من ذلك، فكان يلبس السلاح، ولا يقرب النساء ولا الطِّيب إلى أن قُتل ابن الزّبير، ولم يحجّ ابن الزّبير ولا أصحابه، لأنّهم لم يقفوا بعَرَفة، ولم يرموا الجِمار[5]،

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٥٥ ـ ٣٥٧.
(٢) الأنساب ٥/٣٥٧.
(٣) في أنساب الأشراف: يَنْكُت.
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٥٩.
(٥) في الأوربية: «بالحجار».

ونحر ابنُ الزّبير بُدنه بمكّة.

ولما حصر الحجّاجُ ابنَ الزُّبير نصب المنجنيق على أبي قُبَيس، ورمى به الكعبة، وكان عبدُ الملك ينكر ذلك أيّام يزيد بن معاوية ثمّ أمر به، فكان الناس يقولون: خُذِل في دينه[1].

وحجّ ابنِ عمر تلك السنة، فأرسل إلى الحجّاج: أن اتّقِ الله واكففْ هذه الحجارة عن الناس، فإنّك في شهرٍ حرامٍ وبلدٍ حرام، وقد قدِمتْ وفود الله من أقطار الأرض، ليؤدّوا فريضة الله ويزدادوا خيراً، وإنّ المنجنيق قد منعهم عن الطّواف[2]، فاكففْ عن الرمي حتّى يقضوا ما يجب عليهم بمكّة. فبطل الرمي حتّى عاد النّاسُ من عَرَفات، وطافوا وسَعَوا، ولم يمنع ابنُ الزّبير الحاجَّ من الطّواف والسَّعْي، فلمّا فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجّاج: انصرفوا إلى بلادكم، فإنّا نعود بالحجارة على ابن الزّبير الملحد[3].

وأوّل ما رُمي بالمنجنيق إلى الكعبة رعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرَّعد على الحجارة، فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم، فأخذ الحجّاج حجر المنجنيق بيده، فوضعه فيه ورمى به معهم، فلمّا أصبحوا جاءت الصّواعقُ، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، فانكسر أهل الشام، فقال الحَجّاج: يا أهلَ الشام لا تُنكروا هذا، فإنّي ابنُ تِهامة وهذه صواعقُها، وهذا الفتح قد حضر، فأبشِروا. فلمّا كان الغد جاءت الصّاعقةُ، فأصابت من أصحاب ابن الزّبير عدّةً، فقال الحَجّاج: ألا ترون أنّهم يُصابون، وأنتم على الطاعة، وهم على خلافها[4]؟ وكانَ الحجر يقع بين يدي ابن الزّبير وهو يصلّي، فلا ينصرف، وكان أهل الشام يقولون:

يا ابن الزّبيرِ طالما عَصَيْكا[5] وطالما عنّيتنا[6] إلَيكَا
لتُجزَيَن[7] بالذي أتَيْكا[8]

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٦٠.
(٢) في الأوربية: «طواف».
(٣) أنساب الأشراف ٥/٣٦٠.
(٤) تاريخ الطبري ٦/١٨٧، أنساب الأشراف ٥/٣٦٣، والخبر باختصار في: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٦ وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣١٣.
(٥) في (ر): «عصيناك».
(٦) في الأوربية: «عينتنا».
(٧) في الأوربية: «لتجرينّ».
(٨) أنساب الأشراف ٥/٣٦٢ وفيه زيادة شطر:
«لَنَضْرِبَنْ بسيفنا قَفَيْكا»

يعنون: عصيت وأتيت.

وقدِم عليه قومٌ من الأعراب فقالوا: قدِمنا للقتال[1] معك، فنظر فإذا مع كلّ امرىءٍ منهم سيف كأنّه شَفْرة، وقد خرج من غمده فقال: يا معشر الأعراب، لا قرّبكم الله! فوالله إنّ سلاحكم لَرَثّ، وإن حديثكم لَغَثّ؛ وإنّكم لقتال في الجدْب، أعداء في الخِصْب. فتفرّقوا ولم يزل القتال بينهم دائماً، فغلت الأسعار عند ابن الزّبير، وأصاب النّاسَ مجاعةٌ شديدة حتّى ذبح فرسَه، وقسّم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمدّ الذُّرَة بعشرين درهماً، وإنّ بيوت ابن الزّبير لَمَملوءة قمحاً وشعيراً وذُرة وتمراً، وكان أهل الشام ينتظرون فَناء ما عنده، وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلاّ ما يمسك الرَّمَق، ويقول: أنفُس أصحابي قويّة ما لم يَفْن[2].

فلمّا كان قُبيل مقتله تفرّق النّاسُ عنه، وخرجوا إلى الحَجّاج بالأمان، خرج من عنده نحو عشرة آلاف، وكان ممّن فارقه ابناه حمزة وخُبَيب، أخذا لأنفسهما أماناً، فقال عبد الله لابنه الزّبير: خذْ لنفسك أماناً كما فعل[3] أخواك، فوالله إنّي لأحبّ بقاءكم. فقال: ما كنتُ لأرغب بنفسي عنك. فصبر معه فقُتل[4].

ولما تفرّق أصحابُه عنه خطب الحجّاجُ الناسَ وقال: قد ترَوْن قلّة مَنْ مع ابن الزّبير، وما هم عليه من الجَهْد والضّيق. ففرحوا واستبشروا، فتقدّموا فملأوا ما بين الحَجون إلى الأبواء[5]. فدخل على أمّه فقال: يا أمّاه قد خذلني الناس حتّى ولدي وأهلي، ولم يبقَ معي إلاّ اليسير، ومَنْ ليس عنده أكثر من صبر ساعة، والقوم يُعطوني ما أردتُ من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك، إن كنتَ تعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو فامضِ له، فقد قُتل عليه أصحابك، ولا تمكّنْ من رقبتك يتلعّب بها غلمان بني أميّة، وإن كنتَ إنّما أردتَ الدنيا، فبِئسَ العبدُ أنت أهلكتَ نفسك ومَنْ قُتل معك، وإن قلتَ كنتُ على حقّ، فلمّا وهن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعْلَ الأحرار ولا أهل الدّين، كم خلودك في الدّنيا! القتل أحسن! فقال: يا أُمّاه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلبوني. قالت: يا بنيّ إنّ الشاة [إذا ذُبحت] لا تتألّم بالسّلخ، فامضِ على بصيرتك واستعِنْ بالله.

---

(١) في الأوربية: «لقتال».

(٢) في الأوربية: «يغن». والخبر في: أنساب الأشراف ٥/٣٦١.

(٣) في الأوربية: «فعلا».

(٤) الطبري ٦/١٨٨.

(٥) في الأوربية: «الأبواب».

فقبّل رأسَها وقـال: هذا رأيي والـذي (قمتُ به داعيـاً)[1] إلى يومي[2] هـذا ما ركنتُ إلى الدنيا، ولا أحببتُ الحياة فيها، وما دعاني إلى الخـروج إلاّ الغضب لله، وأن تُستَحلّ حُرُماته، (ولكنّي أحببتُ أن أعلم رأيك، فقد زِدْتِني بصيرة، فانظري يا أمّاه، فـإني مقتولٌ في يومي هذا، فلا يشتدّ[3] حزنُك[4]، وسلّمي الأمر إلى الله، فإنّ ابنـك لم يتعمّد إتيـان[5] منكـر، ولا عملاً بفـاحشة، ولم يجُـرْ في حكم الله، ولم يغدر في أمـان، ولم يتعمّد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عُمّالي فرضيتُ بـه بل أنكـرتُه، ولم يكن شيء آثـر عندي من رضا ربّي، اللهمّ لا أقول هذا تـزكيةً لنفسي، ولكنّي[6] أقـوله تعـزية لأمّي حتى تسلُوَ عنّي!

فقالت أمّه: [إنّي] لأرجو أن يكون عـزائي فيك جميـلاً، إن تقدّمتني احتسبتُـك[7]، وإن ظفرتَ سُررتُ بظفرك، اخرجْ حتّى أنظر إلى ما يصير أمرك. فقال: جـزاكِ الله خيراً، فـلا تَدَعي الـدعاء لي. قـالت: لا أدعه لـك أبداً، فمن قُتـل على باطـل فقد قُتلتَ على حقّ. ثمّ قالت: اللهمّ ارحم طول ذاك القيام في اللّيل الطويل وذلك النحيب[8] والظّمأ في هواجر مكّة والمدينة، وبرّه بأبيه وبي! اللهمّ قد سلّمته لأمـرك فيه، ورضيتُ بمـا قضيتَ، فأَثِبْني فيه ثواب الصابرين الشاكرين!

فتناول يديها ليقبّلهما فقالت: هذا وَداع فلا تَبْعَد. فقال لها: جئتُ مودّعاً لأنّي أرى هذا آخر أيّامي من الدنيـا. قالت: امضِ على بصيـرتك، وادْنُ منّي حتّى أودّعـك. فدنـا منها فعانقها وقبّلها، فوقعت يدها على الدرع فقـالت: ما هـذا صنيع مَنْ يـريد مـا تريـد. فقال: ما لبسته إلاّ لأشدّ منْك. قالت: فـإنّه لا يشـدّ منّي، فنزعهـا، ثمّ درج كُمّيه، وشـدّ أسفل قميصه وجبّة خز تحت أثناء[9] السراويل، وأدخل أسفلها تحت المنطقة، وأمّه تقـول له: البس ثيابك مشمّرة. فخرج وهو يقول:

إنّـي إذا أعـرِفُ يـوْمي أصـبـرْ   وإنّـمـا يعـرِفُ يـوْمَـهُ[10] الـحُـرّ

(١) في الأوربية: «خرجتُ به دائماً».
(٢) في (آ) و (ر): «قومي».
(٣) في الأوربية: «اشتدّ».
(٤) ما بين القوسين من (ر).
(٥) في الأوربية: «يتعهّد إيثار».
(٦) في الأوربية: «ولكنّه».
(٧) في الأوربية: «أحتسبنّك».
(٨) في الأوربية: «النجيب».
(٩) في الأوربية: «ثناء».
(١٠) الطبري ٦/١٩٠ «يوميه»، وانظر: تاريخ دمشق ٤٨٣،

إذْ بعضُهم يَعرِفُ ثمّ يُنكِرْ

فسمعتْهُ فقالت: تصبر إن شاء الله، أبواكَ أبو بكر والزّبير، وأمّك صَفيّة بنت عبد المطّلب. فحمل على أهل الشام (حملةً منكرةً، فقتل منهم، ثمّ انكشف هو وأصحابه، وقال له بعضُ أصحابه: لو لحِقتَ بموضع كذا. قال: بئس الشيخ أنا إذاً في الإسلام، لئن أوقعتُ قوماً فقُتلوا، ثمّ فررتُ عن مثل مصارعهم. ودنا أهل الشام)[1] حتى امتلأت منهم الأبواب، وكانوا يصيحون به: يا ابنَ ذات النّطاقَين[2]، فيقول:

وتلكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ[3] عنكَ عارُها[4]

وجعل أهلُ الشام على أبواب المسجد رجلاً من أهل كلّ بلد، فكان لأهل حِمْص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شَيْبة، ولأهل الأردنّ باب الصَّفا، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح، ولأهل قِنَّسْرين باب بني تميم، وكان الحجّاج وطارق من ناحية الأبطح إلى المَرْوة، فمرّة يحمل ابن الزُّبير في هذه الناحية ومرّة في هذه الناحية، فكأنّه أسد في أَجَمة ما يَقْدَم عليه الرجال، يعدو في أثر القوم حتّى يُخرجهم، ثمّ يصيح: أبا صفوان! ويل أمّه فتْحاً، لو كان له رجال[5]:

لو[6] كان قِرْني[7] واحداً كَفَيْتُه[8]!

فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أميّة بن خَلَف: إي والله وألف[9].

فلمّا رأى الحجّاج أنّ الناس لا يقدمون على ابن الزُّبير غضب وترجّل، وأقبل يسوقُ

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) في الأوربية: «النّاطقَين».

(٣) في الأوربية: «ظاهراً».

(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٦٦ وفيه الشطر الأول:

«وعيّرها الواشون أنّي أحِبُّها»

وانظر الحوار بين ابن الزبير وأمّه في: تاريخ الطبري ٦/١٨٨، ١٨٩؛ وبعضه في: أنساب الأشراف ٥/٣٦٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٧، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٣١٤، وتاريخ دمشق ٤٧٠، ٤٧١ والفخري ١٢٣.

(٥) الطبري ٦/١٩٠.

(٦) في طبعة صادر ٤/٣٥٥ «أو».

(٧) في الأوربية: «قربي».

(٨) طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨، تاريخ الطبري ٦/١٩١، والقول لـدُوَيد بن زيد، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣١٤، تاريخ دمشق ٤٦٦ و٤٦٧.

(٩) الطبري ٦/١٩١.

الناس، ويصمد بهم صمد صاحب عَلَم ابن الزّبير وهو بين يديه. فتقدّم ابنُ الزّبير على صاحب عَلَمه وضاربهم وانكشفوا، وعرَّج وصلّى ركعَتَين عند المقام[1]، فحملوا على صاحب عَلمه، فقتلوه عند باب بني شَيْبَة، وصار العَلَم بأيدي أصحاب الحَجّاج. فلمّا فرغ من صلاته تقدّم فقاتل بغير عَلَم، فضرب رجلاً من أهل الشام وقال: خُذْها وأنا ابن الحواريّ! وضرب آخر، وكان حبشيّاً[2]، فقطع يده وقال: اصبر أبا حُمَمَة، اصبر ابن حام. وقاتل معه عبد الله بن مُطيع وهو يقول:

أنا الذي فَرَرْتُ يومَ الحَرّهْ ... والحُرُّ لا يَفِرُّ إلاّ مَرّهْ

واليومَ أجزي فَرّةً بكَرّهْ

وقاتل حتّى قُتل، وقيل: إنّه أصابته جِراح، فمات منها بعد أيّام[3].

وقال ابن الزُّبير لأصحابه وأهله يوم قُتل بعد صلاة الصُّبح: اكشفوا وجوهكم حتّى أنظر إليكم، وعليهم المَغَافر. ففعلوا. فقال: يا آل الزُّبير، لو طِبْتم بي نفساً[4] عن أنفسكم كنّا أهل بيت من العرب اصطلحنا[5] في الله، فلا يَرُعْكُم وقعُ السيوف، فإنّ ألم الدواء للجراح أشدّ من ألم وقْعها، صونوا سيوفكم كما تصونون[6] وجوهكم، غضّوا أبصاركم من البارقة، ولْيشغلْ كلُّ امرىءٍ قِرنه، ولا تسألوا عنّي، فمَن كان سائلاً عنّي فإنّي في الرعيل الأوّل[7]، احملوا على بَرَكة الله. ثمّ حمل عليهم حتّى بلغ بهم الحَجون، فرُمي بآجرّة، رماه رجل من السَّكون، فأصابته في وجهه، فأرعش لها ودمي وجهُه، فلمّا وجد الدم على وجهه قال:

فلَسنا على الأعقابِ تَدمى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامنا تقطرُ الدِّمَا[8]

وقاتلهم قتالاً شديداً، فتعاوروا[9] عليه، فقتلوه يوم الثلاثاء من جُمادَى الآخرة، وله

---

(١) الطبري ٦/١٩١.

(٢) في الأوربية: «جيشاً».

(٣) الخبر والرجز في: أنساب الأشراف ٥/٣٦٧، ونهاية الأرب ٢١/١٤٠.

(٤) في (ر): «نفسي»، وفي تاريخ الطبري ٦/١٩١ «طبتم لي نفساً».

(٥) الطبري: «اصطلمنا».

(٦) في الأوربية: «تصونوا».

(٧) الطبري ٦/١٩١.

(٨) البيت للحصين بن الحمام المري، في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١/١٩٢، وتاريخ الطبري ٦/١٩٢، والأخبار الطوال ٣١٥، وأنساب الأشراف ٥/٣٦٥ وفيه إنه لخالد بن الأعلم خليف بني مخزوم، وقال بعضهم هو لأبي عزّة الجُمحي، والبيت أيضاً في: مروج الذهب ٣/١٢١، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٥ وتاريخ دمشق ٤٦٧.

(٩) في الأوربية: «فعاودوا».

ثلاثٌ وسبعون سنة، وتولّى قتله رجلٌ من مُراد، وحمل رأسه إلى الحجّاج فسجد، ووفد السَّكونيّ والمراديّ إلى عبد الملك بالخبر، فأعطى كلّ واحد منهما خمسمائة دينار[1].

وسار الحجّاج وطارق حتّى وقفا عليه، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا. فقال الحجّاج: أتمدح مخالف أمير المؤمنين؟ قال: نعم هو أعذر لنا، ولولا هذا لما كان لنا عُذر، إنّا محاصروه منذ سبعة أشهر، وهو في غير جُنْدٍ ولا حصن ولا مَنَعة، فينتصف منّا بل يفضل[2] علينا. فبلغ كلامهما عبد الملك فصوّب طارقاً[3].

ولما قُتل ابن الزّبير كبّر أهلُ الشام فرحاً بقتله، فقال ابن عمر: انظروا إلى هؤلاء، ولقد كبّر المسلمون فرحاً بولادته، وهؤلاء يكبّرون [فرحاً] بقتله[4].

وبعث الحجّاج برأسه ورأس عبد الله بن صَفْوان ورأس عُمارة بن عَمْرو بن حزم إلى المدينة، ثمّ ذُهب بها إلى عبد الملك بن مروان[5]، وأخذ جثّته فصلبها على الثنيّة اليمنى بالحَجون. فأرسلت إليه أسماء: قاتلك الله! على ماذا صلبتَه؟ قال: استبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة، وكانت له. فاستأذنتْه في تكفينه ودفنه، فأبَى ووكّل بالخشبة مَنْ يحرسها، وكتب إلى عبد الملك يُخبره بصلبه، فكتب إليه يلومه ويقول: ألا خلّيت بينه وبين أمّه! فأذِن لها الحَجّاج، فدفنته بالحَجون، فمرّ به عبد الله بن عمر فقال: السلام عليك يا أبا خُبَيْب! أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، ولقد كنتَ صَوّاماً قوّاماً وَصولاً للرَّحِم، أما والله، إنّ قوماً أنت شرّهم لنِعْم القوم[6].

وكان ابن الزّبير قبل قتله بقي أيّاماً يستعمل الصَّبِر والمسك لئلّا ينتن، فلمّا صُلب ظهرت منه رائحة المسك، (فقيل: إنّ الحجّاج صلب معه كلباً ميتاً، فغلب على ريح المسك[7]، وقيل: بل صلب معه سِنَوراً)[8].

ولمّا قُتل عبد الله ركب أخوه عُرْوة ناقةً لم يُرَ مثلها، فسار إلى عبد الملك، فقدِم الشام قبل وصول رسل الحَجّاج بقتل عبد الله، فأتى بابَ عبد الملك، فاستأذن عليه فأذِن

---

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٦٨.
(٢) في (ب): «يقفل».
(٣) الطبري ٦/١٩٢.
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٦٩، نهاية الأرب ٢١/١٤٠، ١٤١.
(٥) الطبري ٦/١٩٢.
(٦) أنساب الأشراف ٥/٣٦٨، ٣٦٩.
(٧) أنساب الأشراف ٥/٣٦٩.
(٨) ما بين القوسين من (ب)، وقيل: هرّة. (تاريخ دمشق ٤٧٣).

له، فلمّا دخل سلّم عليه بالخلافة، فردّ عليه عبدُ الملك، ورحّب به وعانقه وأجلسه على السرير، فقال عُرْوة:

مَتَتُّ[1] بأرحامٍ إليكَ قريبةٍ ولا قُربَ للأرحامِ ما لم تُقرَّبِ[2]

ثمّ تحدّثنا حتى جرى ذِكر عبد الله، فقال عُرْوَة: إنّه كان، فقال عبد الملك: وما فعل؟ قال: قُتل، فخرّ ساجداً، فقال عُرْوة: إنّ الحجّاج صلبه، فهبْ جثّته لأمّه. قال: نعم، وكتب إلى الحَجّاج يعظّم صلبه. وكان الحجّاج لما فُقد عُرْوة كتب إلى عبد الملك يقول له: إنّ عُروة كان مع أخيه، فلمّا قُتل عبد الله أخذ مالاً من مال الله فهرب. فكتب إليه عبد الملك: إنّه لم يهرب، ولكنّه أتاني مبايعاً، وقد آمنتُه وحلّلتُه ممّا كان، وهو قادم عليك فإيّاك وعُروة وعاد عُروة إلى مكّة، وكانت غيبته عنها ثلاثين يوماً.

فأنزل الحَجّاج جثّة عبد الله عن الخشبة، وبعث به إلى أمّه، فغسّلته، فلمّا أصابه الماء تقطّع، فغسّلته عُضواً عُضواً، فاستمسك، وصلّى عليه عُروة، فدفنته[3].

وقيل: إنّ عُروة لما كان غائباً عند عبد الملك كتب إليه الحَجّاج وعاوده في إنفاذ عُروة إليه، فهَمّ عبد الملك بإنفاذه، فقال عُروة: ليس الذليل مَنْ قتلتموه، ولكنّ الذّليل مَن ملّكتموه، وليس بملوم مَن صبر فمات، ولكنّ الملوم مَنْ فرّ من الموت. فسمع مثل هذا الكلام، فقال عبد الملك: يا أبا عبد الله لن[4] تسمع منّا شيئاً تكرهه[5].

وإنّ عبد الله لم يصلّ عليه أحد، منع الحَجّاج من الصلاة عليه، وقال: إنّما أمر أمير المؤمنين بدفنه، وقيل: صلّى عليه غير عُروة، والّذي ذكره مسلم في «صحيحه[6]»: أنّ عبد الله بن الزّبير أُلقي في مقابر اليهود، وعاشت أمّه بعده قليلاً وماتت، وكانت قد أضرّت، وهي أمّ عُروة أيضاً.

فلمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الزّبير دخل مكّة، فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان، وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم، وسار إلى المدينة، وكان عبد الملك قد استعمله على مكّة والمدينة، فلمّا قدِم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين، فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال: أنتم قتَلَة أمير المؤمنين عثمان، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم، كما يُفعل بأهل الذمّة[7]، منهم جابر بن عبد الله،

(١) في الأوربية: «نَمَّت»، وفي أنساب الأشراف: «نَمُتّ».
(٢) أنساب الأشراف ٣٧٠/٥، نهاية الأرب ١٤٢/٢١.
(٣) أنساب الأشراف ٣٧٠/٥، تاريخ دمشق ٥٠٢، نهاية الأرب ١٤٢/٢١.
(٤) في الأوربية: «لئن».
(٥) أنساب الأشراف ٣٧١/٥.
(٦) انظر صحيح مسلم (٢٥٤٥) باب ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها.
(٧) أنساب الأشراف ٣٧٣/٥.

وأنَس بن مالك، وسهل بن سعد، ثمّ عاد إلى مكّة، فقال حين خرج منها: الحمد لله الذي أخرجني من (أمّ نتن)[1]، أهلها أخبث بلد، وأغشّه لأمير المؤمنين، وأحسدهم له على نعمة الله، والله لو ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتُها مثل جوف الحمار أعواداً يعودون بها، ورِمّة قد بَليت، يغولون[2] منبر رسول الله ﷺ، (وقبر رسول الله ﷺ)[3]. فبلغ جابرَ بن عبد الله قولُه فقال: إنّ وراءه ما يسوءُه، قد قال فرعون ما قال، ثمّ أخذه الله بعد أن أنظره[4].

وقيل: إنّ ولاية الحجّاج المدينة وما فعله بأصحاب رسول الله ﷺ، كان سنة أربع وسبعين في صفر.

(خُبَيْب بن عبد الله بن الزّبير: بضمّ الخاء المعجمة، وببائَين موحّدتين بينهما ياء مثنّاة من تحت، وكان عبد الله يكنّى به وبأبي بكر أيضاً).

ذكر عمر ابن الزّبير وسيرته

كان له من العمر حين قُتل اثنتان وسبعون سنة[5]، وكانت خلافته تسع سنين[6]، لأنّه بويع له سنة أربع وستّين، وكانت له جمّة مفروقة طويلة[7].

قال يحيَى بن وثّاب: كان ابن الزّبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره، تظنّه حائطاً لسكونه وطول سجوده[8]. وقال غيره: قسّم عبد الله الدّهرَ ثلاث حالات: فليلة قائمٌ حتّى الصباح، وليلة راكعٌ حتّى الصباح، وليلة ساجدٌ حتّى الصباح[9].

وقيل: أوّل ما عُلم من همّة ابن الزبير أنّه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبيٌّ، فمرّ به رجل فصاح عليهم ففرّوا، ومشى ابن الزّبير القَهْقَرى وقال: يا صبيان اجعلوني أميركم، وشدّوا بنا عليه، ففعلوا[10]. ومرّ به عمرُ بن الخطّاب وهو يلعب، ففرّ

---

(١) في (آ) و (ب): «بين».
(٢) في (آ): «تقولون».
(٣) ما بين القوسين من (ب) و (ر).
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٧٤.
(٥) أنساب الأشراف ٥/٣٧٥.
(٦) تاريخ دمشق ٣٨٧ و ٤٩١.
(٧) تاريخ دمشق ٤٠٨، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.
(٨) تاريخ دمشق ٤٠٩، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ٤٣٩، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.
(٩) تاريخ دمشق ٤٠٣، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.
(١٠) تاريخ دمشق ٤٠٣، العقد الثمين لقاضي مكة ٥/١٥٤، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.

الصبيان ووقف هو، فقال له عمر: ما لك لم تفرّ معهم؟ فقال: لم أُجْرِم فأخافك، ولم تكن الطريق ضيّقة فأوسع لك[1].

وقال قَطَن بن عبد الله: كان ابن الزُّبير يواصل من الجمعة إلى الجمعة. قال خالد بن أبي عِمران: كان ابن الزّبير يُفْطر في الشهر ثلاثة أيّام، ومكث أربعين سنة لم ينزع (ثيابه عن ظهره)[2].

وقال مُجاهد: لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس إلّا تكلّفه ابن الزّبير، ولقد جاء سيلٌ طبَّق البيت، فجعل ابن الزّبير يطوف سباحةً[3]. قال هشام بن عُرْوة: كان أوّل ما أفصح به عمّي عبد الله بن الزّبير وهو صغير السيف، فكان لا يضعه من يده، فكان الزّبير يقول: والله ليكوننّ لك منه يوم وأيّام[4]. قال ابن سيرين: قال ابن الزّبير: ما شيء كان يحدّثنا به كعب إلّا وقد جاء على ما قال، إلّا قوله: فتى ثقيف يقتلني، وهذا رأسه بين يديّ، يعني المختار[5]، قال ابن سيرين: ولا يشعر ابن الزّبير أنّ الحَجّاج قد خُبِّيء له.

وقال عبد العزيز بن أبي جَميلة الأنصاريُّ: إنّ ابن عمر مرّ بابن الزُّبير وهو مصلوب بعد قتله فقال: رحِمك الله أبا خُبَيْب! إنّك كنت لصَوّاماً قوّاماً، ولقد أفلحت قريش إن كنتَ شرّها[6].

وكان الحجّاج قد صلبه، ثمّ ألقاه في مقابر اليهود، وأرسل إلى أمّه يستحضرها، فلم تحضر، فأرسل إليها: لتأتينّي، أو لأبعثنّ إليكِ من يسحبك بقرونك، فلم تأته، فقام إليها. فلمّا حضر قال لها: كيف رأيتِني صنعتُ بعبد الله؟ قالت: رأيتك أفسدتَ على ابني دنياه، وأفسد عليك آخرتك، فإنّ رسول الله ﷺ، حدّثنا أنّ في ثقيف (كذّاباً ومبيراً، فأمّا الكذّاب)[7] فقد رأيناه، تعني المختار، وأمّا المبير فأنت هو. وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه[8].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٠٣، نهاية الأرب ١٤٣/٢١، العقد الثمين لقاضي مكة ١٥٤/٥.

(٢) في (ب): «ثوبه عن صدره». والخبر في: تاريخ دمشق ٤١٥، ونهاية الأرب ١٤٥/٢١.

(٣) تاريخ دمشق ٤١٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ٤٤٠.

(٤) تاريخ دمشق ٤٦٥.

(٥) تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٤٦، نهاية الأرب ١٤٤/٢١.

(٦) تاريخ دمشق ٤٨٨، نهاية الأرب ١٤٤/٢١.

(٧) في الأوربية: كذّاباً مبيراً يأتيه هذا الكذّاب.

(٨) في فضائل الصحابة (٢٥٤٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر. وأخرجه أحمد في المسند ٢٦/٢، والترمذي في الجامع الصحيح (٢٢٢٠) و(٣٩٤٤) من حديث ابن عمر، والحميدي في مسنده ١٥٦/١، ١٥٧ رقم ٣٢٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٢٦، والنويري في نهاية الأرب ١٤٤/٢١.

وقال ابن الزّبير لعبد الله بن جعفر: أتذكر يومٍ لقينا رسول الله ﷺ، أنا وأنت فأخذ ابني فاطمة؟ فقال: نعم فحملنا وتركك، ولو علم أنّه يقول له هذا ما سأله.

ذكر ولاية محمّد بن مروان الجزيرة وأرمينية

وفي هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمّداً على الجزيرة وأرمينية، فغزا منها وأثخن [في] العدو[1]، وكانت بُحَيرة الطرّيخ الّتي بأرمينية مباحة لم يعرض لها أحدٌ، بل يأخذ منها من شاء، فمنع من صيدها، وجعل عليها مَنْ يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه، ثمّ صارت بعده لابنه مروان، ثمّ أُخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم، وهي إلى الآن على هذه الحال من الحجْر، ومَنْ سنّ سُنّة سيئة كان عليه وِزرُها ووِزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

وهذا الطّريخ من عجائب الدنيا، لأنّ سمكه[2] صغير، له كلّ سنة موسم، يخرج من هذه البحيرة في نهر يصبّ إليها كثيراً، يُؤخذ بالأيدي والآلات المصنوعة له، فإذا انقضى موسمه لا يوجد منه شيء.

ذكر قتل أبي فُدَيْك الخارجيّ

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نَجْدة بن عامر الخارجيّ وطاعة أصحابه أبا فُدَيْك، وثبت قدم أبي فديك إلى الآن، فأمر عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن مَعْمَر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة، ويسير إلى قتاله، فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم أرزاقهم، ثمّ سار بهم، وجعل أهل الكوفة على الميمنة، وعليهم محمّد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأهل البصرة على الميسرة، وعليهم عمر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعْمَر، وهو ابن أخي عمر، وجعل خيله في القلب، وساروا حتّى انتهوا إلى البحرين، فالتقوا واصطفّوا للقتال، فحمل أبو فُديك وأصحابه حملة رجلٍ واحدٍ، فكشفوا ميسرة عمر حتّى أبعدوا، إلاّ[3] المغيرة بن المهلّب، ومُجّاعة بن عبد الرحمن، وفرسان الناس، فإنّهم مالوا إلى صفّ أهل الكوفة بالميمنة، وجُرح عمر بن موسى.

فلمّا رأى أهلُ الميسرة أهلَ الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا، وما عليهم أمير، لأنّ

---

(١) فتوح البلدان ٢٤٢ رقم ٥٢٠، وتاريخ الطبري ١٩٤/٦، نهاية الأرب ١٩٦/٢١.

(٢) في الأوربية: «لأنّه سمك».

(٣) في الأوربية: «إلى».

أميرهم عمر بن موسى كان جريحاً، فحملوه معهم، واشتدّ قتالهم حتّى دخلوا عسكر الخوارج، وحمل أهلُ الكوفة من الميمنة ومَنْ معهم من أهل الميسرة حتّى استباحوا عسكرهم، وقتلوا أبا فُديك، وحصروا أصحابه بالمُشقّر، فنزلوا على الحكم، فقُتل منهم نحو ستّة آلاف وأسر ثمانمائة، ووجدوا جارية عبد الله بن أميّة حُبْلَى من أبي فُديك، وعادوا إلى البصرة[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل عبدُ الملك خالدَ بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بِشْراً، في قول بعضهم، فاجتمع له المِصران الكوفة والبصرة، فسار بِشرٌ إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عَمْرو بن حُريث[2]. وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفةً فهزمهم[3]. وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية في أربعة آلاف، والروم في ستّين ألفاً، فهزمهم وأكثر القتل فيهم[4].

وحجّ بالناس هذه السنة الحجّاج[5]، وكان على مكّة واليمن واليمامة. وكان على الكوفة والبصرة في قول بعضهم بِشر بن مروان، وقيل: كان على الكوفة بِشر، وعلى البصرة خالد بن عبد الله، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة، وعلى خُراسان بُكَير بن وَسَّاج[6].

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات عبد الله بن عمر[7] بمكّة ودُفن بذي طَوًى، وقيل بفَخّ، وكان سبب موته أنّ الحجّاج أمر بعض أصحابه، فضرب ظهر قدمه بِزُجّ رمح مسموم، فمات منها، وعاده الحَجّاج في مرضه، فقال: مَنْ فعل بك هذا؟ قال: أنتَ، لأنّك أمرتَ بحمل السلاح في بلدٍ لا يحلّ حمْله فيه[8]. وكان موته بعد ابن الزّبير بثلاثة أشهر، وقيل غير

---

(١) الطبري ٦/١٩٣، نهاية الأرب ٢١/١٥٠، ١٥١.
(٢) الطبري ٦/١٩٤، البداية والنهاية ٨/٣٤٧، نهاية الأرب ٢١/٢٠٥.
(٣) الطبري ٦/١٩٤، البداية والنهاية ٨/٣٤٧.
(٤) الطبري ٦/١٩٤.
(٥) تاريخ خليفة ٢٦٩، الأخبار الطوال ٣١٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، المحبّر ٢٢، تاريخ الطبري ٦/١٩٤، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٩٠، البداية والنهاية ٨/٣٤٧، نهاية الأرب ٢١/٢٠٥.
(٦) الطبري ٦/١٩٤ وفيه «بكير بن وِشاح»، البداية والنهاية ٨/٣٤٧.
(٧) انظر عن (عبد الله بن عمر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٥٣ رقم ١٩٩ وفيه مصادر ترجمته.
(٨) أخرجه البخاري في العيدين ٢/٣٧٩ باب: ما يكره من حمل السلاح في العيد والحرم، من طريق: =

ذلك، وكان عمره سبعاً وثمانين سنة.

وفيها مات سَلِمة بن الأكوع[1]. وأبو سعيد الخُدْريُّ[2]. ورافع بن خَديج[3]. ومالك بن مِسمَع[4] أبو غسّان البكريّ، وقيل: مات سنة أربع وستّين، ووُلد على عهد رسول الله ﷺ.

وتوفّي سلم[5] بن زياد[6] بن أبيه قبل بشر بن مروان. وأسماء بنت أبي بكر[7] بعد ابنها بقليل، وكانت قد عَمِيت، وكانت مطلّقة من الزّبير، قيل: إنّ ابنها عبد الله قال له: مثلي لا تُوطأ أمّه، فطلّقها.

وفيها مات عوف بن مالك[8] الأشْجَعيُّ، وكان أوّل مشاهده خَيبر. ومعاوية بن حُدَيْج[9] قبل ابن عمر بيسير.

وفيها مات مَعْبد بن خالد[10] الجُهنيُّ، وهو ابن ثمانين سنة، وله صُحْبة.

وفيها قُتل عبد الرحمن بن عثمان[11] بن عُبيد الله مع ابن الزّبير، وهو ابن أخي طلحة بن عُبيد الله، وله صُحْبة.

رافع بن خَديج: بفتح الخاء المعجمة، وكسر الدّال المهملة. ومعاوية بن حُدَيْج: بضمّ الحاء، وفتح الدّال المهملتَين، وآخره جيم.

= أحمد بن يعقوب، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤/١٨٦ من طريق الفضل بن دُكين، عن إسحاق بن سعيد، عن سعيد يعني أباه، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٦، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٦٦، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٥.

(١) انظر عن (سلمة بن الأكوع) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤١٢ رقم ١٧٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (أبي سعيد الخدري) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٥١ رقم ٢٧٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (رافع بن خديج) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٠٠ رقم ١٦٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (مالك بن مِسْمَع) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٢١ رقم ٢٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في (آ) و(ر): «مسلم».

(٦) انظر عن (سلم بن زياد) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٢٣ و٤٤.

(٧) انظر عن (أسماء بنت أبي بكر) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٥٣ رقم ١٣٧ وفيه مصادر ترجمتها.

(٨) انظر عن (عوف بن مالك) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٠١ رقم ٢٣٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (معاوية بن حُدَيج) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ص ٣٠٤ وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) انظر عن (معبد بن خالد) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٢٨ رقم ٢٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(١١) انظر عن (عبد الرحمن بن عثمان) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٧٣ رقم ٢٠٧ وفيه مصادر ترجمته.

٧٤
ثم دخلت سنة أربعٍ وسبعين

فِي هذه السنة عزل عبدُ الملك طارقاً عن المدينة واستعمل عليها الحَجّاج، فأقام بها شهراً، وفعل بالصَّحابة ما تقدّم ذكره، وخرج عنها معتمِراً[١].

وفيها هدَم الحجّاج بناء الكعبة الذي كان ابن الزّبير بناه، وأعادها إلى البناء الأوّلَ، وأخرج الحجر منها[٢]، وكان عبد الملك يقول: كذب ابن الزّبير على عائشة في أنّ الحجر من البيت، فلمّا قيل له: قال غير ابن الزّبير إنّها روتْ ذلك عن رسول الله ﷺ، قال: وددتُ أنّي تركته وما يُحمّل[٣].

وفيها استقضى عبد الملك أبا إدريس الخَوْلانيّ[٤].

ذكر ولاية المهلّب حرب الأزارقة

لما استعمل عبدُ الملك أخاه بِشراً على البصرة سار إليها، فأتاه كتابُ عبد الملك يأمره أنْ يبعث المهلّب إلى حرب الأزارقة في أهل البصرة ووجوههم، وكان ينتخب منهم مَنْ أراد أن يتركه وراءه في الحرب، وأمره أن يبعث من أهل الكوفة رجلاً شريفاً معروفاً بالبأس والنجدة والتجربة في جيشٍ كثيف إلى المهلّب، وأمرهم أن يتبعوا الخوارج أين كانوا حتّى يُهْلكوهم.

فأرسل المهلّبُ جُدَيْعَ[٥] بن سعيد بن قَبيصةَ، وأمره أن ينتخب الناس من الديوان،

---

(١) الطبري ٦/١٩٥، نهاية الأرب ٢١/١٤٦.

(٢) الطبري ٦/١٩٥، تاريخ خليفة ٢٧١، الأخبار الطوال ٣١٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٢، تاريخ العظيمي ١٩١، نهاية الأرب ٢١/١٤٥، ١٤٦، البداية والنهاية ٩/٢، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٤٩ رقم ٩٠٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٤.

(٤) الطبري ٦/١٩٥.

(٥) في نهاية الأرب ٢١/١٥١ «خَدِيج»، والمثبت يتفق مع الطبري.

وشقّ على بِشر أن إمرة[1] المهلّب جاءت من [قِبَل] عبد الملك، فأوغرت صدرَه عليه حتّى كأنّه أذنبَ إليه، فدعا عبدَ الرحمن بن مِخنَف فقال له: قد عرفتَ منزلتك عندي، وقد رأيتُ أن أولّيك هذا الجيش الذي أسيّره من الكوفة للّذي عرفتُه منك، فكنْ عند أحسن ظنّي بك، وانظر إليّ هذا الكذا كذا، يقع في المهلّب، فاستبدَّ عليه بالأمر، ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً، وتنقّصه.

قال عبد الرحمن: فترك أن يوصّيني بالجيش وقتال العدوّ والنظر لأهل الإسلام، وأقبل يغريني بابن عمّي كأنّي من السُّفَهاء، ما رأيتُ شخصاً مثلي طمع منه في مثل هذا، قال: فلمّا رأى أنّي لستُ بنشيطٍ إلى جوابه قال لي: ما لك؟ قلتُ: أصلحك الله، وهل يسعني إلّا إنفاذ أمرك فيما أحببتُ وكرهتُ!

وسار المهلّب حتّى نزل رامَهُرْمُز، فلقي بها الخوارج فخندق عليه، وأقبل عبدُ الرحمن في أهل الكوفة ومعه بِشر بن جَرير، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وإسحاق بن محمّد بن الأشعث، وزَحر بن قيس، فسار حتّى نزل على ميل من المهلّب، حيث يتراءى العسكران برامَهُرْمُز، فلم يلبث العسكر إلّا عشراً[2] حتّى أتاهم نعيُ بِشر بن مروان، تُوُفّي بالبصرة، فتفرّق ناسٌ كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة، واستخلف بِشرٌ على البصرة خالدَ بن عبد الله بن خالد، وكان خليفته على الكوفة عَمْرو بن حُرَيْث.

وكان الّذين انصرفوا من أهل الكوفة زَحر بن قيس، وإسحاق بن محمّد بن الأشعث، ومحمّد بن عبد الرحمن بن سعيد، فأتوا الأهواز، فاجتمع بها ناسٌ كثير، فبلغ ذلك خالدَ بن عبد الله، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى المهلّب، ويهدّدهم إن لم يفعلوا بالضَّرْب والقتل، ويحذّرهم عقوبة عبد الملك، فلمّا قرأ الرسولُ من الكتاب عليهم سطراً أو سطرين قال زَحر: أوجِزْ، فلمّا فرغ من قراءته لم يلتفت الناسُ إليه، وأقبل زَحر ومَن معه حتّى نزلوا إلى جانب الكوفة، وأرسل إلى عَمرو بن حُرَيْث: إنّ النفر لما بلغهم وفاةُ الأمير تفرّقوا، فأقبلنا إلى مصر وأحببنا أن لا ندخل إلّا بإذن الأمير. فكتب إليهم يُنكِر عليهم عَوْدهم، ويأمرهم بالرجوع إلى المهلّب، ولم يأذن لهم في دخول الكوفة، فانتظروا الليلَ، ثمّ دخلوا إلى بيوتهم، فأقاموا حتّى قدِم الحجّاج أميراً[3].

---

(١) في الأوربية: «امرأة».

(٢) في الأوربية: «غزا».

(٣) الطبري ٦/١٩٦ ـ ١٩٨، نهاية الأرب ٢١/١٥١، ١٥٢.

ذكر عزل بُكَير عن خراسان وولاية أُميّة بن عبد الله بن خالد

في هذه السنة عزل عبدُ الملك بُكيرَ بن وَسّاج[1] عن خُراسان، وولّاها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أَسيد، وكانت ولاية بُكير سنتين.

وكان سبب عزْله أنّ تميماً اختلفت بها، فصارت مُقاعسٍ والبطون يتعصّبون لبَحِيرٍ، ويطلبون بُكَيراً، وصارت عوْفُ والأبناء يتعصّبون لبُكير، وكلّ هذه بطون من بني تميم، فخاف أهلُ خُراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم المشركون، فكتبوا إلى عبد الملك بذلك، وأنّها لا تصلح إلّا على رجلٍ من قريش لا يحسدونه ولا يتعصّبون عليه، فاستشار عبد الملك فيمن يولّيه، فقال أميّة: يا أمير المؤمنين تَدَارَكْهم برجلٍ منك. قال: لولا انهزامك عن أبي فُدَيك كنتَ لها. قال: يا أمير المؤمنين، والله ما انهزمت حتّى خذلني الناس، ولم أجد مقاتلاً، فرأيتُ أنّ انحيازي إلى فئةٍ أفضل من تعريضي[2] عصبةً بقيت من المسلمين للهلكة، وقد كتب إليك خالد بن عبد الله بعُذْري، وقد علم الناس ذلك. فولّاه خُراسان. وكان عبد الملك يحبّه، فقال الناس: ما رأينا أحداً عُوّض من هزيمةٍ ما عُوّض أميّة[3].

فلمّا سمع بُكَير بمسيره أرسل إلى بَحير، وهو في حبسه، وقد تقدّم ذكر ذلك في مقتل ابن خازم، يطلب منه الصلح، فامتنع بَحير وقال: ظنّ بُكَير أنّ خُراسان تبقى له في الجماعة. ومشت السفراء بينهم، فأبى ذلك بَحير، فدخل عليه ضِرار بن حُصَين الضَّبّيّ فقال: أراك أحمق! يرسل إليك ابنُ عمّك يعتذر إليك، وأنتَ أسيره، والسيف بيده، ولو قتلك ما حبقتَ، فلا تقبل منه! اقبَلِ الصلح واخرجْ وأنت على رأس أمرك. فقبل منه وصالح بُكيراً، فأرسل إليه بُكَير بأربعين ألفاً، وأخذ عليه ألّا يقاتله، وخرج بَحير، فأقام يسأل عن مسير أميّة، فلمّا بلغه أنّه قد قارب نَيْسابور سار إليه، ولقِيه بها، فأخبره عن خُراسان وما يحسن به طاعة أهلها، ورفع على بُكَير أموالاً أخذها، وحذّره غدره، وسار معه حتّى قدِم مَرْو، وكان أميّة كريماً، ولا يَعرض لبُكَير ولا لعُمّاله، وعرض عليه شُرطته فأبى، فولّاها بَحيرَ بن ورقاء، فلامَ بُكَيراً رجالٌ من قومه، فقال: كنتُ بالأمس أميراً تُحمل الحراب بين يديّ، فأصير اليوم أحمل الحربة!

ثمّ خيّر أميّةُ بُكَيراً أن يولّيه ما شاء من خُراسان، فاختار طَخارستان، قال: فتجهّز لها، فأنفق مالاً كثيراً. فقال بَحير لأميّة: إن أتَى طخارستان خلعك، وحذّره فلم يولّه[4].

---

(١) الطبري: «وشاح».

(٢) في الأوربية: «تعرّضي».

(٣) الطبري ٦/١٩٩، ٢٠٠.

(٤) الطبرى ٦/١٩٩ ـ ٢٠١، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٣١٨، البداية والنهاية ٩/٣.

أَسِيد: بفتح الهمزة، وكسر السّين. وبَجِير: بفتح الباء الموحّدة، وكسر الحاء.

ذكر ولاية عبد الله بن أميّة سجستان

لما وصل أميّة بن عبد الله إلى كَرمان استعمل ابنَه عبدَ الله على سِجِسْتان، فلمّا قدِمَها غزا رُتبيل الذي ملك بعد المقتول[1] الأوّل، وكان رتبيل هائباً للمسلمين، فلمّا وصل عبدُ الله إلى بُست أرسل رُتبيل يطلب الصلح، وبذل ألفَ ألفٍ، وبعث إليه بهدايا ورقيق، فأبَى عبد الله قبول ذلك وقال: إن ملأ لي هذا الرواق ذهباً، وإلّا فلا صُلْح. وكان غِرًّا[2]، فخلَّى له رُتبيلُ البلاد حتّى أوغل فيها، وأخذ عليه الشّعاب والمضايق[3]، وطلب أن يخلّي عنه وعن المسلمين، ولا يأخذ منه شيئاً، فأبَى رُتبيلُ وقال: بل يأخذ ثلاثمائة ألف درهم صُلحاً، ويكتب لنا به كتاباً، ولا يغزو بلادنا ما كنتُ أميراً، ولا يحرق ولا يخرب. ففعل، وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزله[4].

ذكر ولاية حسّان بن النُّعْمان إفريقية

قد ذكرنا ولاية زُهَير بن قيس سنة اثنتين وستّين، وكان قتْله سنة تسعٍ وستّين، فلمّا علم عبد الملك قَتْله عظُمَ عليه وعلى المسلمين وأهمّه ذلك، وشغله عن إفريقية ما كان بينه وبين ابن الزّبير، فلمّا قُتل ابنُ الزُّبير، واجتمع المسلمون عليه، جهّز جيشاً كثيراً، واستعمل عليهم وعلى إفريقية حسّان بن النُّعمان الغسّانيّ، وسيّرهم إليها في هذه السنة[5]، فلم يدخل إفريقية قطّ جيشٌ مثله.

فلمّا ورد القيروان تجهّز منها وسار إلى قرطاجنّة، وكان صاحبها أعظم ملوك إفريقية، ولم يكن المسلمون قطّ حاربوها، فلمّا وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يُحْصَى كثرةً، فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيراً، فلمّا رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب، فركبوا في مراكبهم، وسار بعضهم إلى صقلّية، وبعضهم إلى الأندلس، ودخلها حسّان بالسيف، فسبَى ونهب، وقتلهم قتلاً ذريعاً، وأرسل الجيوش فيما حولها، فأسرعوا إليه خوفاً، فأمرهم فهدموا من قرطاجنّة ما قدروا عليه[6].

---

(١) في (ب): «العقول».

(٢) في الأوربية: «غزا». وفي فتوح البلدان: «غَزّاءً».

(٣) العبارة في فتوح البلدان: «حتى إذا أوغل فيها أخذ عليه الشعاب والمضايق».

(٤) فتوح البلدان ٤٩١، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧١، ٢٧٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٧.

(٦) الحلّة السيراء ٢/٣٣١، نهاية الأرب ٢٤/٣٥، البيان المغرب ١/٣٤، ٣٥ (حوادث ٧٨ هـ.)، مآثر الإنافة ١/١٣٣.

ثمّ بلغه أنّ الروم والبربر قد اجتمعوا له في صَطْفورة[1] وبَنْزرت، وهما مدينتان، فسار إليهم وقاتلهم، ولقي منهم شدّةً وقوّة، فصبر لهم المسلمون، فانهزمت الروم، وكثُرَ القتل فيهم، واستولوا على بلادهم، ولم يترك حسّان موضعاً من بلادهم إلاّ وطِئه، وخافه أهلُ إفريقية خوفاً شديداً، ولجأ المنهزمون من الروم إلى مدينة باجَة، فتحصّنوا بها، وتحصّن البربرُ بمدينة بُونة، فعاد حسّان إلى القيروان لأنّ الجراح قد كثُرت في أصحابه، فأقام بها حتّى صحُّوا[2].

ذكر تخريب إفريقية

لما صلح الناس قال حسّان: دلّوني على أعظم مَن بقي من ملوك إفريقية، فدلّوه على امرأة تملك البربر تُعرف بالكاهنة، وكانت تُخبرهم بأشياء من الغيب، ولهذا سُمّيت الكاهنة، وكانت بربريّة، وهي بجبل أوراس، وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كُسَيْلة، فسأل أهلَ إفريقية عنها، فعظّموا محلّها وقالوا له: إن قتلتَها لم تختلف البربر بعدها عليك. فسار إليها، فلمّا قارَبَها هدمت حصن باغاية ظنّاً منها أنّه يريد الحصون، فلم يعرِّج[3] حسّان على ذلك وسار إليها، فالتقوا على نهر نِيني[4]، واقتتلوا أشدّ قتال رآه الناس، فانهزم المسلمون وقُتل منهم خلقٌ كثير، وانهزم حسّان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة، سوى خالد بن يزيد القيسي، وكان شريفاً شجاعاً، فاتّخذته ولداً.

وسار حسّان حتّى فارق إفريقية، وأقام وكتب إلى عبد الملك يُعْلمه الحال، فأمره عبد الملك بالمُقام إلى أن يأتيه أمره. فأقام بعمل برقة خمس سِنين، فسُمّي ذلك المكان قصور حسّان إلى الآن، وملكت الكاهنةُ إفريقية كلّها، وأساءت السيرةَ في أهلها وعَسَفَتْهم وظلمتهم.

ثمّ سيّر إليه عبد الملك الجنود والأموال، وأمره بالمسير إلى إفريقية وقتال الكاهنة، فأرسل حسّان رسولاً سرّاً إلى خالد بن يزيد، وهو عند الكاهنة، بكتاب يستعلم منه الأمور، فكتب إليه خالد جوابه في رقعة يعرّفه تفرّق البربر، ويأمره بالسرعة، وجعل الرقعة في خُبْزة[5]، وعاد الرسول، فخرجت الكاهنةُ ناشرةً شعرها تقول: ذهب ملكهم فيما[6]

---

(١) صطْفورة: المرجّح أنها شبه الجزيرة الواقع شمال تونس، وفيه بَنزرت.

(٢) نهاية الأرب ٢٤/٣٥، البيان المغرب ١/٣٥.

(٣) في الأوربية: «يفرج».

(٤) نهرنِيني: المرجّح أنه أحد النُهَيرات التي تصبّ في جرعة الطرف، قريباً من تبسة. (أنظر: فتح العرب للمغرب، للدكتور حسين مؤنس - ص ٢٤٧).

(٥) في الأوربية: «خبره».

يأكل الناس. فطُلب الرسول فلم يوجد، فوصل إلى حسّان وقد احترق الكتابُ بالنار، فعاد إلى خالد، وكتب إليه بما كتب أوّلاً، وأودعه قَرَبوس السَّرج.

فسار حسّان، فلمّا علمت الكاهنةُ بمسيره إليها قالت: إنّ العرب يريدون البلادَ والذهبَ والفضّة، ونحن إنّما نريد المزارع والمراعي، ولا أرى إلاّ [أن] أخرّب إفريقية حتّى ييأسوا[1] منها. وفرّقت أصحابها ليخرّبوا البلاد، فخرّبوها وهدموا الحصون ونهبوا الأموال، وهذا هو الخراب الأوّل لإفريقية.

فلمّا قرب حسّان من البلاد لقِيه جمْعٌ من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة، ويشكون إليه منها، فسرّه ذلك وسار إلى قابس، فلقيه أهلها بالأموال والطّاعة، وكانوا قبل ذلك يتحصّنون من الأمراء، وجعل فيها عاملاً، وسار إلى قَفْصة ليتقرّب الطريق، فأطاعه مَنْ بها، واستولى عليها وعلى قَسْطِيلِيَة ونَفْزاوة.

وبلغ الكاهنةَ قدومُه، فأحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم: إنّني مقتولة، فامضوا إلى حسّان، وخُذوا لأنفسكم منه أماناً. فساروا إليه وبقوا معه، وسار حسّان نحوها، فالتقوا واقتتلوا، واشتدّ القتال وكثُر القتل حتّى ظنّ الناسُ أنّه الفناء، ثمّ نصر الله المسلمين، وانهزم البربر وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وانهزمت الكاهنة، ثمّ أُدْرِكتْ فقُتلت.

ثمّ إنّ البربر استأمنوا إلى حسّان، فآمنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدّتهم اثنا[2] عشر ألفاً يجاهدون العدوّ، فأجابوه إلى ذلك، فجعل على هذا العسكر ابنَي الكاهنة. ثمّ فشا الإسلامُ في البربر، وعاد حسّان إلى القَيروان في رمضان من السنة، وأقام لا ينازعه أحد إلى أن تُوُفّي عبد الملك.

فلمّا وليَ الوليدُ بن عبد الملك ولّى إفريقية عمّه عبد الله بن مروان، فعزل عنها حسّاناً، واستعمل موسى بن نُصَير سنة تسعٍ وثمانين، على ما نذكره إن شاء الله.

وقد ذكر الواقديُّ أنّ الكاهنة خرجت غضباً لقتل كُسَيْلة وملكت إفريقية جميعها، وعملت بأهلها الأفاعيلَ القبيحة، وظلمتهم الظلمَ الشنيع، ونال مَن بالقيروان من المسلمين أذًى شديدٌ بعد قتل زُهير بن قيس سنة سبْعٍ وستّين، فاستعمل عبدُ الملك على إفريقية حسّانَ بن النعمان، فسار في جيوشٍ كثيرة، وقصد الكاهنة، فاقتتلوا، فانهزم المسلمون وقُتل منهم جماعة كثيرة، وعاد حسّان منهزماً إلى نواحي برقة، فأقام بها إلى

(٦) في الأوربية: «فما».

(١) في الأوربية: «يأسوا».
(٢) في الأوربية: «اثني».

سنة أربعٍ وسبعين، فسيّر إليه عبد الملك جيشاً كثيفاً وأمره بقصد الكاهنة، فسار إليها وقاتلها فهزمها، وقتلها وقتل أولادها، وعاد إلى القَيروان[1].

وقيل: إنّه لما قتل الكاهنة عاد من فوره إلى عبد الملك، واستخلف على إفريقية رجلاً اسمه أبو صالح، إليه يُنسب فَحْص صالح.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة الحجّاج بن يوسف[2]، وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مَخرمة، وعلى قضاء الكوفة شُريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة[3].

وقيل: إنّ عبد الملك اعتمر هذه السنة، ولا يصحّ.

(وفيها غزا محمّد بن مروان الروم صائفةً، فبلغ أَندولية)[4].

[الوَفَيات]

وفيها مات جابر بن سَمُرَة[5] السوائيُّ في إمارة بِشر بن مروان بالكوفة، وفي إمارته أيضاً مات أبو جُحَيفة[6] بالكوفة. وفيها مات عَمرو بن مَيمون[7] الأَوْديُّ، وقيل: سنة خمس وسبعين، وكان قد أدرك الجاهليّة، وهو من المعمَّرين. وفيها مات عبد الله بن عُتْبَة[8] بن مسعود، وكان من عُمّال عمر، وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين. وفيها مات

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٣٥ - ٣٨، البيان المغرب ١/٣٥ - ٣٨، تاريخ ابن خلدون ٤/٤٠١، رياض النفوس للمالكي ١/٣١ - ٣٤، والحلّة السيراء ٢/٣٣١، ٣٣٢ باختصار شديد، وفتوح مصر لابن عبد الحكم ٨٢، وفتح العرب للمغرب ٢٣١ وما بعدها.

(٢) تاريخ خليفة ٢٧٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، المحبّر ٢٤ وفيه (يقال: عبد الملك)، تاريخ الطبري ٦/٢٠١، مروج الذهب ٤/٣٩٨، ٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩١، البداية والنهاية ٩/٣، نهاية الأرب ٢١/٢٠٦.

(٣) الطبري ٦/٢٠١.

(٤) ما بين القوسين من (ب)، والخبر في: تاريخ خليفة ٢٧٠ وفيه «أندرلية»، وفي معجم البلدان «أندرين»، ومثله في: معجم ما استعجم للبكري، وهي قرية من قرى الجزيرة. وذكر البلاذري غزوة لمحمد بن مروان في هذه السنة إلى الروم، ولم يحدّد مكانها. (فتوح البلدان ٢٢٤ رقم ٤٩٥).

(٥) انظر عن (جابر بن سمرة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٨٢ رقم ١٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في الأوربية: «جُحَيفة». وانظر عن (أبي جُحَيفة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٤٩ رقم ٢٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (عمرو بن ميمون) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٩٦ رقم ٢٢٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (عبد الله بن عتبة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٤٥٢ رقم ١٩٨ وفيه مصادر ترجمته.

عبد الرحمن بن عثمان[1] التَّيميُّ، وله صُحْبَة.

وفيها مات محمّد بن حاطب[2] بن الحارث الجُمَحيُّ، وكان مولده بأرض الحبشة، وأُتِي به النبيُّ ﷺ.

وفيها مات أبو سعيد بن مُعَلّى[3] الأنصاريُّ.

وفيها مات أوْس بن ضمعج[4] الكوفي.

ضمْعج: بالضاد المعجمة والجيم.

---

(١) انظر عن (عبد الرحمن بن عثمان) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٧٣ رقم ٢٠٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (محمد بن حاطب) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٢٢ رقم ٢٤٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (أبي سعيد بن المُعَلّى) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٥٤ رقم ٢٧٠ ب، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (أوس بن ضمعج) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٦٤ رقم ١٤١ وفيه مصادر ترجمته.

٧٥
ثم دخلت سنة خمسٍ وسبعين

في هذه السنة غزا محمّد بن مروان الصائفة حين خرجت الرومِ من قِبَل مَرْعَش[١].

ذكر ولاية الحجّاج بن يوسف العراق

في هذه السنة ولّى عبدُ الملك الحجّاجَ بن يوسف العراقَ دون خُراسان وسِجِسْتان، فأرسل إليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة، وأمره بالمسير إلى العراق، فسار في اثني عشر راكباً على النّجائب حتّى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأةً، وقد كان بِشر بعث المهلّب إلى الخوارج، فبدأ الحَجّاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثّم بعمامة خزّ حمراء فقال: عليّ بالناس، فحسبوه وأصحابه خارجيّةً، فهمّوا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم، فاجتمع الناسُ وهو ساكتٌ قد أطال السكوتَ، فتناول محمّد بن عُمَير حصباء وأراد [أن] يحصبه بها[٢] وقال: قاتله الله ما أغباه وأذمّه! والله إنّي لأحسب خبره كَرُوائه. فلمّا تكلّم الحجّاج جعلت الحصباء تنتثرُ من يده وهو لا يعقل به، قال: ثمّ كشف الحجّاج عن وجهه وقال:

أنا ابنُ جَلا وطَلاّعُ الثّنايا ... متى أضعِ العِمامَةَ تَعرفُوني[٣]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ خليفة ٢٧١ وفيه خرجت الروم إلى الأعماق، فتوح البلدان ٢٢٤، تاريخ الطبري ٦/٢٠٢، تاريخ العظيمي ١٩١، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٢٥، البداية والنهاية ٩/٧.

(٢) في الأوربية: «به».

(٣) البيت من قصيدة لسُحَيم بن وثيل الرياحي، رواها الأصمعي في: الأصمعيّات، طبعة لايبزغ ـ ص ٧٣، والبيان والتبيين ٢/٢٢٤، والبدء والتاريخ ٦/٢٩، وعيون الأخبار ٢/٢٤٣، وتاريخ الطبري ٦/٢٠٢، والفتوح لابن أعثم ٧/٥، والعقد الفريد ٤/١٢٠ و ٥/١٧، والأغاني ١٢ (طبعة بولاق)، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٢١، والبداية والنهاية ٩/٨، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٧، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٦.

أما والله إنّي لأحمل الشرّ محمله[1]، وأحذوه بنعله[2]، وأجزيه بمثله، وإنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وقد[3] حان قِطَافُها[4]، إنّي لأنظر إلى الدّماء بين[5] العمائم واللّحى:

قد شمّرت عن ساقها تشميرا[6]

هذا أوانُ الحَرْبِ[7] فاشتدّي زِيَمْ ... قد لفّها اللّيلُ بسوّاقٍ حُطَمْ

ليسَ براعي إبلٍ ولا غَنَمْ ... ولا بجَزّارٍ على ظهرِ[8] وضَمْ[9]

ثمّ قال:

قد لَفّها اللّيلُ بعَصْلَبيٍّ ... أروَعَ خرّاجٍ منَ الدَّوِّيِّ

مُهاجرٍ لَيسَ بأعْرابيٍّ[10]

ليسَ أوان بكرةِ[11] الخِلاطِ ... جاءتْ بهِ والقُلُص الأعلاطِ

تهوي هُوِيَّ سابق الغَطاطِ[12]

إنّي والله يا أهل العراق ما أُغمز كتغماز[13] التين، ولا يُقَعْقَع لي بالشِّنان[14]، ولقد فُرِرتُ[15] عن ذكاء[16] وجريتُ إلى الغايةِ القُصوى. ثمّ قرأ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ

---

(١) في البيان والتبيين ٢/٢٢٤ «إني لاحتمل الشر بحمله».

(٢) في الأوربية: «وآخذه بفعله».

(٣) ليست في البيان والتبيين، وتاريخ الطبري.

(٤) في البيان زيادة بعدها: «وإني لصاحبها».

(٥) في البيان: «إلى الدماء ترقرق بين».

(٦) مجمع الأمثال للميداني ٢/٣٤٤، وفي البيان: «فشمرا»، وفي نهاية الأرب ٢١/٢٠٨ «فشدّوا».

(٧) في البيان، وتاريخ الطبري، وغيره «الشدّ».

(٨) في الأوربية: «لحم».

(٩) الرجز لرُوَيشد بن رُميض العنبري، وهو في: البيان والتبيين ٢/٢٢٤، والمخصّص لابن سيده ٥/٢٢، وتاريخ الطبري ٦/٢٠٣، والعقد الفريد ٤/١٢٠، والفتوح لابن أعثم ٧/٦، ومروج الذهب ٣/١٣٤، والأغاني ١٥/٢٥٤ و ٢٥٥ ونهاية الأرب ٢١/٢٠٨، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٢١، والبدء والتاريخ ٦/٢٩، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٧، ونثر الدر ٥/١٣، والمستطرف ١/٥٠ ـ ٥٢.

(١٠) الرجز في: البيان والتبيين ٢/٢٢٤، وتاريخ الطبري ٦/٢٠٣، والعقد الفريد ٤/١٢١، ومروج الذهب ٣/١٣٤، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٨، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٢٢، ولسان العرب (مادّة عصلب)، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٧.

(١١) في تاريخ الطبري، ونهاية الأرب: «بكره».

(١٢) في الأوربية: «سائق العُطاط». والرجز في: تاريخ الطبري ٦/٢٠٣، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٨.

(١٣) في الأوربية: «ما أغمزه بتغماز».

(١٤) الشِنان: القِرَب البالية، وكانوا يستحثّون بها الإبل على السير.

(١٥) فر: كشف عن أسنانه ليعرف عمره.

آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١]؛ وأنتم أولئك وأشباه أولئك، إنّ أمير المؤمنين عبد الملك نثر كِنانته، فعجم عِيدانَها[٢]، فوجدني أمَرّها عُوداً، وأصلبها مَكْسراً[٣]، فوجّهني إليكم ورمى بي في نُحُوركم، فإنّكم أهل بغيٍ وخلافٍ وشِقاق ونِفاق، فإنّكم طالما أوضعتم في الشرّ[٤]، وسَنَنْتُم سُنَن الغيّ، فاستوثقوا[٥] واستقيموا، فواللّهِ لأُذيقنّكم الهوانَ ولأمرينّكم به حتّى تَدِرّوا، ولألحونّكم لحوَ العُود[٦]، ولأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة حتّى تذلّوا[٧]، ولأضربنّكم ضربَ غرائب الإبل[٨] حتّى تَذَروا العصيان وتنقادوا، ولأقرعنّكم قرعَ المروة حتّى تلينوا.

إنّي والله ما أعِدُ إلّا وفيتُ، ولا أخلق إلّا فريتُ، فإيّاي وهذه الجماعات[٩]، فلا يركبنّ رجل إلّا وحده، أُقسم بالله لَتُقْبِلُنّ[١٠] على الإنصاف، ولتدعُنّ الإرجاف، وقيلاً وقالاً وما تقول وما يقول وأخبرني فلان[١١]، أو لأدعنّ لكلّ رجلٍ منكم شغلاً في جسده! فيمَ أنتم وذاك؟ والله لتستقيمُنّ على الحقّ، أو لأضربنّكم بالسيف ضرباً يدَعُ النساء أيامى، والوِلدان يتامى، حتّى تذَروا السُّمَّهى[١٢]، وتُقلعوا عن هَا وهَا[١٣]، ألا إنّه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جُبِيَ فَيْءٌ[١٤]، ولا قوتل عدوٌّ، ولعُطِّلت الثغور، ولولا أنّهم يُغْزَون كَرْهاً ما غزوا طَوْعاً!

وقد بلغني رفْضُكم المهلّب، وإقبالُكم على مِصْركم عاصين[١٥] مخالفين، وإنّي

---

(١٦) ذكاء: نهاية الشباب.

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٢.
(٢) في البيان: «كبّ كنانته ثم عجم عيدانها».
(٣) في البيان: «وأصلبها عوداً».
(٤) في البيان «في الفتن».
(٥) في (آ): «فاستوسقوا»، وهو صحيح أيضاً.
(٦) في البيان: «لحو العصا».
(٧) الطبري ٦/٢٠٤ «تنقادوا».
(٨) في (آ): «غرابيب الأثل».
(٩) في الأوربية: «الجمعات».
(١٠) في الطبعة الأوربية: «لتقلبُنّ».
(١١) الطبري: «ولتدعنّ الإرجاف، وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان».
(١٢) في الأوربية: «السّهمى».
(١٣) في الأوربية: «هواها».
(١٤) في الأوربية: «جيء فيئي».
(١٥) الطبري ٦/٢٠٤ «عُصاة».

أقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة[1] إلّا ضربتُ عنقه، وأنهبتُ داره[2]!

ثمّ أمر بكتاب عبد الملك، فقُرِئ على أهل الكوفة، فلمّا قال القارىء: أمّا بعدُ، سلامٌ عليكم، فإنّي أحمدُ الله إليكم، قال له: اقطعْ، ثمّ قال: يا عَبِيد العصا، يسلّم عليكم أمير المؤمنين فلا يردّ رادٌّ منكم السلام! أما والله لأؤدبنّكم غير هذا الأدب! ثمّ قال للقارىء: اقرأ، فلمّا قرأ: سلامٌ عليكم، قالوا بأجمعهم: سلام الله على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته[3].

ثمّ دخل منزله لم يزِدْ على ذلك، ثمّ دعا العُرَفاء وقال: أَلحقوا الناسَ بالمهلّب، وائتوني بالبراءآت بموافاتهم، ولا تغلقُنّ أبواب الجسر[4] ليلاً ولا نهاراً حتّى تنقضي هذه المدّة.

تفسير هذه الخطبة

قوله: أنا ابن جلا، فابن جلا[5] هو الصبح لأنّه يجلو الظُّلْمة. وقوله: فاشتدّي زِيَم، هو اسم للحرب، والحُطَم: الذي يحطِم كلّ ما مرّ به، والوَضَم: ما وقي به اللحم عن الأرض، والعصلبيّ الشديد، والأعلاط من الإبل التي لا أرسان عليها. وقوله: فعجم عِيدانها، أي عضها واختبرها. وقوله: لأعصبنّكم عصْب السَّلَمة، فالعَصْب القطْع، والسَّلَم شجر من العضاه[6]. وقوله: لا أخلق إلّا فريت، فالخلق التقدير، ويقال: فريت الأديمَ إذا أصلحته. والسُّمّهى: الباطل، وأصله ما تسمّيه العامّة مُخاط الشيطان. والعُطاط، بضمّ العين، وقيل بفتحها: ضرْبٌ من الطَّير.

فلمّا كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق، فخرج حتّى جلس على المنبر

---

(١) الطبري: «ثالثة».

(٢) في البيان: «من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلّب سفكت دمه، وانتهبت ماله».

(٣) انظر خطبة الحجّاج في: البيان والتبيين ٢/٢٢٣ ـ ٢٢٥، وتاريخ الطبري ٦/٢٠٢ ـ ٢٠٦، وعيون الأخبار ٢/٢٤٣ وما بعدها، والفتوح لابن أعثم ٧/٤، والعقد الفريد ٤/١١٥، ومروج الذهب ٣/١٣٣ وما بعدها، والبدء والتاريخ ٦/٢٩، ٣٠، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٧ ـ ٢١٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١١٤، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ) ص ٣٢٠ ـ ٣٢٣، وصبح الأعشى للقلقشندي ١/٢١٨، والبداية والنهاية ٩/٨، ٩، والكامل للمبرّد ١/٣٣٣ ـ ٣٤٠، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٦، ٤٣٧.

(٤) في (آ): «القصر».

(٥) مجمع الأمثال للميداني ١/٤٦.

(٦) في الأوربية: «الغضاة».

فقال: يا أهلَ العراق، وأهلَ الشِّقاق والنِّفاق، ومساوىء الأخلاق! إنّي سمعتُ تكبيراً ليس بالتّكبير الذي يُراد به وجه الله[1]، ولكنّه التّكبير الذي يُراد به التّرهيب، وقد عرفتُ أنّها عَجاجةٌ تحتها قَصْف، يا بني اللّكيعة وعَبِيد العصا، وأبناء الأيامى، ألا يَرْبَع رجلٌ منكم على ظَلْعه[2]، ويُحْسن حَقْن دمه، ويعرف موضع قدمه! فأُقسم بالله لأُوشكُ أن أوقع بكم وقعةً تكون نَكالاً لِما قبلها، وأدباً لما بعدها.

فقام عُمير بن ضابىء الحنظليُّ التّميميُّ[3] فقال: أصلح اللّهُ الأميرَ، أنا في هذا البعث، وأنا شيخٌ كبيرٌ عليل، وابني هذا أشبّ[4] منّي. فقال الحجّاج: هذا خيرٌ لنا من أبيه، ثمّ قال: ومَنْ أنتَ؟ قال: أنا عُمَير بن ضابىء. قال: أسمعتَ كلامنا بالأمس؟ قال: نعم. قال: ألستَ الّذي غزا عثمان بن عفّان؟ قال: بلى. قال: يا عدوّ الله، أفلا إلى عثمان بُعِثتَ بدلاً؟ وما حملك على ذلك؟ قال: إنّه حبس أبي، وكان شيخاً كبيراً. قال: أوَلستَ القائل:

همَمتُ ولم أفعَلْ وكِدْتُ وليتَني ... تركتُ على عثمانَ تَبكي حَلائلُهْ

إنّي لأحسبُ أنّ في قتلك صلاح المِصْرَيْن. وأمر به، فضُربت رقبتُه، وأُنهِب مالُه[5].

وقيل: إنّ عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجّاج: أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا أحد قتَلَة عثمان. فقال الحجّاج: أي عدوّ الله! أفلا إلى أمير المؤمنين بُعثتَ بديلاً؟ ثمّ أمرَ به فضُربت عنقُه، وأمر منادياً فنادى: ألا إنّ عُمير بن ضابىء أتَى بعد ثلاثة، وكان سمع النداء، فأمرنا بقتله، ألا إنّ ذمّة الله بريئة ممّن لم يأتِ[6] الليلة من جُنْد المهلّب.

فخرج الناسُ فازدحموا على الجسر، وخرج العُرفاء إلى المهلّب، وهو برامَهُرْمُز، فأخذوا كُتُبه بالموافاة. فقال المهلّب: قدِم العراقَ اليومَ رجلٌ ذكَر، اليومَ قُوتل العدوّ[7].

فلمّا قتل الحجّاج عُميراً لقي إبراهيمُ بن عامر الأسديُّ عبدَ الله بن الزّبير، فسأله عن الخبر، فقال:

---

(1) الطبري ٦/٢٠٦: «الذي يراد الله به في الترغيب».
(2) في الأوربية: «ظلفه».
(3) في الأوربية: «التيمي».
(4) في (ر): «أثبت» و (آ): «أشت».
(5) الطبري ٦/٢٠٦، ٢٠٧، نهاية الأرب ٢١/٢١١، مروج الذهب ٣/١٣٦، ١٣٧، التذكرة الحمدونية ١/٤٣٨، وفيات الأعيان ٢/٣٤.
(6) في (آ): «بات».
(7) الطبري ٦/٢٠٧، وفي (ب): «قوبل العذور».

أقولُ لإبراهيمَ لمّا لَقيتُهُ ... أرَى الأمرَ أضحى[1] مُنْصِباً مُتَشعِّبَا
تجهّزْ وأسْرِعْ فالحقِ الجيشَ لا أرَى ... سوَى الجيش إلاّ في المهالك مَذهَبَا
تخَيَّرْ فإمّا أنْ تَزُورَ ابنَ ضابئٍ ... عُمَيراً وإمّا أنْ تَزُورَ المُهَلّبَا
هما خُطّتا خسفٍ[2] نجاؤك[3] منهُما ... رُكوبُكَ حَوْليّاً منَ الثّلجِ أشهَبَا
فَحالَ ولَوْ كانَتْ خُراسانُ دونَهُ ... رآها مكانَ السُّوقِ أوْ هيَ أقرَبَا
فكائنْ ترَى من مُكره الغزوِ[4] مسمراً[5] ... تحمّم[6] حِنوَ السّرْجِ حتّى تحنّبَا[7]

تحمّم: أي لزِمه حتّى صار كالحميم. وتحنّب: اعوجّ. والزَّبِير: ههنا بفتح الزّاي وكسر الباء.

قيل: وكان قدوم الحَجّاج في شهر رمضان، فوجّه الحكَمَ بن أيّوب الثقفيَّ على البصرة أميراً، وأمره أن يشتدّ على خالد بن عبد الله، فبلغ خالداً الخبرُ فخرج عن البصرة، فنزل الجَلْحاء، وشيّعه أهل البصرة، فقسّم فيهم ألفَ ألفٍ[8].

فكان الحجّاجُ أوّل مَن عاقب بالقتل على التخلّف عن الوجه الذي يكتب إليه[9].

قال الشعبيُّ: كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعليّ نُزعت عمامته، ويقام للناس، ويشهر أمره، فلمّا وليَ مُصْعب قال: ما هذا بشيء، وأضاف إليه حَلْقَ الرؤوس واللِّحَى، فلمّا وليَ بِشر بن مروان زاد فيه، فصار يُرفع الرجل عن الأرض ويُسْمَر في يديه مسماران في حائط، فربّما مات، وربّما خرق المسمارُ كفّه[10]، فسلم، فقال شاعر:

لَوْلا مَخافةُ بِشرٍ أوْ عقوبَتِه ... وأن يُنَوَّطَ في كفّيَّ مسمارُ
إذاً لعَطّلتُ ثَغري ثمّ زُرْتكُمُ ... إنّ المُحبّ لمَنْ يَهواهُ زَوّارُ

فلمّا كان الحجّاج قال: هذا لعبٌ، أضرب عنق من يخلّ مكانَه من الثغر.

---

(١) الطبري: «أمسى».
(٢) الطبري: «خُطّتا كرهٍ».
(٣) في (ر): «بحائك»، وفي نسخة مكتبة بودليان «تجاءك»، وفي الطبعة الأوربية: «تحاول».
(٤) الطبري «العذو».
(٥) في (ر): «ميمن»، و(ب): «مسمنا»، وفي تاريخ الطبري: «مسمن».
(٦) في (ب): «تحمحم».
(٧) في (ب) ونسخة مكتبة بودليان: «تحببا»، والشعر في تاريخ الطبري ٦/٢٠٩، ونهاية الأرب ٢١/٢١٢.
(٨) الطبري ٦/٢٠٩.
(٩) نهاية الأرب ٢١/٢١٣.
(١٠) نهاية الأرب ٢١/٢١٣ وفيه «يده».

ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله

في هذه السنة استعمل عبدُ الملك على السِّند سعيدَ بن أسلم بن زُرْعة، فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلاقيّان[1]، فقتلاه وغلبا على البلاد، فأرسل الحجّاجُ مُجّاعة بن سِعْر التميميَّ إلى السِّند، فغلب على ذلك الثغر، وغزا وفتح أماكن من قَنْدابيل، ومات مُجّاعة بعد سنة بمُكران، فقيل فيه:

ما مِن مَشاهِدِكَ الّتي شاهدتَها ... إلّا يزيدُكَ[2] ذكرها مُجّاعَا[3]

ذكر وثوب أهل البصرة بالحجّاج

في هذه السنة خرج الحجّاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عُرْوَة بن المُغيرة بن شُعْبَة، فلمّا قدِم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة، وتوعّد مَنْ رآه منهم بعد ثلاثة، ولم يلحق بالمهلّب، فأتاه شَريك بن عَمْرو اليشكريّ، وكان به فتْق، وكان أعور يضع على عينه قطعةً، فلُقّب ذا الكُرْسُفة، فقال: أصلحَ اللّهُ الأميرَ، إنّ بي فتْقاً، وقد رآه بِشر بن مروان فعذرني، وهذا عطائي مردودٌ في بيت المال. فأمر به فضُربت عُنقه، فلم يبقَ بالبصرة أحد من عسكر المهلّب إلّا لحِق به. فقال المهلّب: لقد أتى العراقَ رجلٌ ذكَرٌ. وتتابع الناسُ مزدحمين إليه حتّى كثُر جَمْعه.

ثمّ سار الحَجّاج إلى رُسْتَقباذ[4]، وبينها وبين المهلّب ثمانية عشر فرسخاً، وإنّما أراد أن يشدّ ظهر المهلّب وأصحابه بمكانه، فقام برُسْتقباذ خطيباً حين نزلها فقال: يا أهلَ المصرَيْن! هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنةً بعد سنة، حتّى يُهْلك الله عدوّكم هؤلاء الخوارج المطِلّين عليكم. ثمّ إنّه خطب يوماً فقال: إنّ الزيادة الّتي زادكم إيّاها ابنُ الزّبير إنّما هي زيادة مخسرة باطلة [من] ملحدٍ فاسقٍ منافقٍ، ولسنا نُجيزها! وكان مُصْعَب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة.

فقال عبد الله بن الجارود: إنّها ليست بزيادة ابن الزّبير، إنّما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بِشْر[5]. فقال له الحجّاج: ما أنت

---

(١) في فتوح البلدان: «العلافيان» (بالفاء).

(٢) في الفتوح «يزينك».

(٣) فتوح البلدان ٥٣٣، ٥٣٤، نهاية الأرب ٢١/٢٢٢.

(٤) في الأوربية: «رستقاباذ».

(٥) حتى هنا في: تاريخ الطبري ٦/٢١٠، ٢١١.

والكلام! لتحسننّ حمل رأسك أو لأسلبنّك إيّاه! فقال: ولِمَ؟ إنّي لـك لناصـح، وإنّ هذا القول من ورائي.

فنزل الحجّاج ومكث أشهـراً لا يذكـر الزيـادة، ثمّ أعاد القـولَ فيها، فـردّ عليه ابنُ الجارود مثل ردّه الأوّل. فقام مَصْقلة بن كَرِب العبـديُّ أبو رقبـة بن مَصْقلة المحدّث عنـه فقال: إنّه ليس للرعيّة أن تردّ على راعيها، وقد سمعنا ما قـال الأميرُ، فسمعـاً وطاعـةً فيما أحببنا وكرهنا. فقال له عبد الله بن الجارود: يا ابنَ الجرمقانيّـة! ما أنت وهـذا! ومتى كان مثلك يتكلّم وينطق في مثل هذا؟

وأتى الوجوهُ عبـدَ الله بن الجارود، فصـوّبوا رأيـه وقولـه، وقال الهُـذَيل بن عِمـران البُرْجميُّ، وعبد الله بن حكيم بن زياد المُجاشعيّ، وغيرهما: نحن معـك وأعوانـك، إنّ هذا الرجل غير كافٍ حتّى ينقصنا هذه الزيادة، فهلُمّ نبايعك على إخراجه من العراق، ثمّ نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولّي علينا غيره، فإن أَبَى خلعناه، فإنّه هائب لنا مـا دامت الخـوارج. فبايعـه الناس سرّاً وأعطوه المـواثيق على الوفـاء، وأخذ بعضهم على بعضهم العهود.

وبلغ الحجّـاجَ ما هم فيـه فـأحـرز بيتَ المـال واحتـاط فيـه. فلمّـا تمّ لهم أمـرهم أظهـروه، وذلـك في ربيـع الآخـر سنـة ستّ وسبعين[1]. وأخـرج عبـدُ الله بن الجـارود عبدَ القيس على راياتهم، وخـرج الناسُ معـه حتّى بقي الحَجّاج، وليس معـه إلاّ خاصّتـه وأهـلُ بيته، فخـرجوا قبـل الظُّهـر، وقطع ابن الجـارود ومن معه الجسـرَ، وكانت خـزائن الحجّاج والسلاح من ورائه. فأرسـل الحجّاجُ أعْيَنَ، صـاحب حمّام أَعْيَن بـالكوفـة، إلى ابن الجارود يستدعيه إليه، فقال ابنُ الجارود: ومَنِ الأمير! لا ولا كرامة لابن أبي رِغال[2]! ولكن ليخرجْ عنّا مذموماً مدحوراً، وإلاّ قاتلناه! فقال أعْيَن: فإنّه يقـول لك: أتـطِيب نفساً بقتلك وقتـل أهل بيتـك وعشيرتـك؟ والذي نفسي بيـده لئن لم يأتني لأدعنّ قـومك عـامّة وأهلك خاصّة حديثاً للغـابرين. وكـان الحجّاج قـد حمّل أعْيَن هـذه الرسـالة. فقـال ابن الجارود: لولا أنّك رسولٌ لقتلتك يا ابن الخبيثة! وأمر فوُجىء في عنقه، وأُخْرج.

واجتمـع الناسُ لابن الجـارود، فأقبـل بهم زحفـاً نحـو الحجّـاج، وكـان رأيهم أن يُخْرجوه عنهم ولا يقاتلوه، فلمّا صاروا إليه نهبوه في فُسطاطه، وأخذوا مـا قدروا عليـه من متاعه ودوابّـه، وجاء أهـلُ اليمن، فأخـذوا امرأتـه ابنة النُّعمـان بن بشير، وجـاءت مُضَر، فأخذوا امرأته الأخرى أمّ سَلِمة بنت عبد الرحمن بن عَمْرو أخي سُهَيْل بن عَمْـرو. فخافـه

(١) نهاية الأرب ٢١/٢١٤، ٢١٥.

(٢) في الأوربية: «رعال».

السُّفَهاء، ثمّ إنّ القوم انصرفوا عن الحَجّاج وتركوه، فأتـاه قومٌ من أهـل البصرة، فصـاروا معه خائفين من محاربة الخليفة.

فجعل الغضبان بن القَبَعْثَرى الشيبانيّ يقول لابن الجارود: «تعشّ بـالجَدْي قبـل أن يتغدّى بك»[1]، أما ترى من قد أتاه منكم؟ ولئن أصبح ليكثرنّ ناصره، ولتضعفنّ مُنّتكم[2]! فقال: قد قرب المساء ولكنّا نعاجله بالغداة.

وكان مع الحجّاج عثمان بن قَطَن، وزياد بن عَمرو العَتَكيّ، وكان زياد على شُرطـة البصرة، فقال لهمـا: ما تـريان؟ فقـال زياد: أن آخـذ لك من القـوم أمانـاً، وتخرج حتّى تلحق بأمير المؤمنين، فقد ارفضّ أكثر النـاس عنك، ولا أرى لـك أن تقاتـل بمن معك. فقـال عثمان بن قَـطَن الحارثيُّ: لكنّي لا أرى ذلـك، إنّ أميـرَ المؤمنين قـد شـرِكـك في أمرك، وخلطك بنفسه، واستنصحك، وسلّطك، فسرتَ إلى ابن الزُّبير، وهو أعظم الناس خـطراً، فقتلتَهُ، فـولّاك الله شرف ذلـك وسناه، وولّاك أميـر المؤمنين الحجـاز، ثمّ رفعتَ فولّاك العراقَين، فحيث جريتَ إلى المدى، وأصبتَ الغـرض الأقصى، تخرج على قَعـود إلى الشـام، والله لئن فعلتَ لا نلتَ من عبد الملك مثـل الذي أنت فيـه من سلطان أبداً، وليتضعنّ شأنك، ولكنّي أرى أن نمشي بسيوفنا معك، فنقاتل حتّى نلقى ظَفَراً، أو نمـوت كـراماً. فقـال له الحجّـاج: الرأيُ مـا رأيتَ، وحفظ هذا لعثمـان، وحقدهـا على زياد بن عَمْرو.

وجاء عامـر[3] بن مِسمع إلى الحجّـاج فقال: إنّي قـد أخذتُ لـك أمانـاً من الناس، فجعـل الحَجّاج يـرفع صـوتـه ليسمـع النـاس ويقـول: والله لا أؤمّنهم أبـداً حتّى يـأتـوا[4] بـالهُذَيـل، وعبد الله بن حكيم[5]. وأرسـل إلى عبيـد بن كعب النّمَيـريّ يقـول: هلمّ إليّ فـامنعني. فقال: قـلْ له إن أتيتني منعتُـك. فقـال: لا ولا كـرامـة! وبعث إلى محمـد بن عُمَير بن عُطارد كذلك، فأجابه مثل الجـواب الأوّل، فقال: لا نـاقتي في هذا ولا جملي. وأرسل إلى عبد الله بن حكيم المُجاشعيّ، فأجابه كذلك أيضاً.

ومـرّ عَبّاد بن الحُصَين الحَبَـطيُّ بابن الجـارود، وابن الهذيـل، وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون، فقال: أشْرِكُونا في نجواكم. فقالوا: هيهات أن يدخل في نجوانا أحـدٌ من

---

(١) مجمع الأمثال ١/٢٣٧.

(٢) في الأوربية: «منكم».

(٣) في طبعة صادر ٤/٣٨٣ «عامل».

(٤) في الأوربية: «يؤتوا».

(٥) نهاية الأرب ٢١/٢١٧.

بني الحبط! فغضب وصار إلى الحَجّاج في مائة رجل، فقال له الحجّاج: ما أُبالي مَن تخلّف بعدك.

وسعى قُتيبَة بن مسلم في قومه في بني[1] أعصُر وقال: لا والله لا ندع قيساً يقتل ولا ينهب ماله، يعني الحَجّاج، وأقبل إلى الحَجّاج.

وكان الحجّاج قد يئس من الحياة، فلمّا جاءه هؤلاء اطمأنّ، ثمّ جاءه سَبْرة بن عليّ الكلابيُّ، وسعيد بن أسلم بن زُرْعة الكلابيُّ فسلّم، فأدناه منه، وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مِخْنف الأزديُّ، وأرسل إليه مِسْمَع بن مالك بن مِسْمع: إن شئتَ أتيتُك، وإن شئتَ أقمتُ وثبّطتُ الناس عنك. فقال: أقِمْ وثبّط الناس عنّي.

فلمّا اجتمع إلى الحَجّاج جمعٌ يُمنع بمثلهم، خرج فعبّأ أصحابه، وتلاحق الناسُ به، فلمّا أصبح إذا حوله نحو ستّة آلاف، وقيل غير ذلك. فقال ابن الجارود لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان: ما الرأي؟ قال: تركتَ الرأيَ أمس حين قال لك الغضبان تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدّى بك، وقد ذهب الرأي وبقي الصبرُ.

فدعا ابن الجارود بدرعٍ، فلبسها مقلوبةً، فتطيّر. وحرّض الحجّاج أصحابه وقال: لا يهولنّكم ما ترون من كثرتهم. وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهُذَيل بن عِمران، وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظَبيان؛ وعلى ميمنة الحَجّاج قُتيبة بن مسلم، ويقال عبّاد بن الحُصَين، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم؛ فحمل ابن الجارود في أصحابه حتّى جاز أصحابَ الحَجّاج، فعطف الحَجّاج عليه، ثمّ اقتتلوا ساعةً، وكاد ابن الجارود يظفر، فأتاه سهم غَرْب، فأصابه فوقع ميتاً. ونادى منادي الحَجّاج بأمان الناس، إلاّ الهُذَيل، وعبد الله بن حكيم، وأمر أن لا يُتبع المنهزمون، وقال: الاتباع من سوء الغلبة. فانهزم عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان، وأتى سعيدَ بن عياذ بن الجُلُنْدي الأزديَّ بعُمان، فقيل لسعيد: إنّه رجل فاتِك فاحذرْه، فلمّا جاء البِطّيخ بعث إليه بنصف بِطّيخةٍ مسمومة وقال: هذا أوّل شيءٍ جاء من البطيخ، وقد أكلتُ نصف بِطّيخة، وبعثت بنصفها، فأكلها عُبيد الله، فأحسّ بالشرّ فقال: أردتُ أن أقتله فقتلني.

وحُمل رأس ابن الجارود، وثمانية عشر رأساً من وجوه أصحابه إلى المهلّب، فنُصبتْ ليراها الخوارج، وييأسوا من الاختلاف[2].

وحبس الحجّاجُ عُبيدَ بن كعب، ومحمّد بن عُمَير، حيث قالا[3] للحجّاج: تأتينا

---

(1) في طبعة صادر ٣٨٤/٤ «يحيى».

(2) في الأوربية: «ويتأسّوا لاختلاف».

(3) في الأوربية: «قالوا».

لنمنعك. وحبس الغَضْبانَ بن القَبَعْثَرى وقال له: أنت القائل: «تعشَّ بالجدْي قبل أن يتغدّى بك»؟ فقال: ما نفعتُ من قيلتي له، ولا ضررتَ من قيلتي فيك. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج بإطلاقه[1].

وقُتل مع ابن الجارود عبد الله بن أنَس بن مالك الأنصاريُّ، فقال الحجّاج: ألا أرى أنَساً يعين عليَّ! فلمّا دخل البصرة أخذ ماله، فحين دخل عليه أنس قال: لا مرحباً ولا أهلاً بك يا ابن الخبيثة! شيخُ ضلالةٍ، جوّال[2] في الفِتَن، مرّة مع أبي تراب، ومرّة مع ابن الزّبير، ومرّة مع ابن الجارود! أما والله لأجْردنّك جرْدَ القضيب، ولأعْصِبنّك عصْبَ السَّلَمة، ولأقلعنّك قلْع الصّمغة! فقال أنس: مَنْ[3] يعني الأمير؟ قال: إيّاك أعني، أصمّ الله صداك! فرجع أنس فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجّاج وما صنع به. فكتب عبد الملكِ إلى الحجّاج:

أمّا بعدُ، يا ابن أمّ الحجّاج، فإنّك عبد طَمَتْ بك الأمور، فغَلوتَ[4] فيها حتّى عَدَوتَ طورك، وجاوزتَ قدرك، يا ابن المُسْتَفْرِمة[5] بعَجَم الزّبيب لأغمزنّك غمزة كبعض غمزات اللّيوث الثعالب[6]، ولأخبطنّك خبطةً تودّ لها أنّك رجعتَ في مخرجك من بطن أمّك، أما تذكر حالَ آبائك في الطّائف حيث كانوا ينقلون الحجارةَ على ظهورهم، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياههم؟ أنسيتَ حال آبائك في اللؤم والدناءة في المروّة والخُلُق؟ وقد بلغ أميرَ المؤمنين الذي كان منك إلى أنَس بن مالك جرأة وإقداماً، وأظنّك أردتَ أن تَسبُر ما عند أمير المؤمنين في أمره، فتعلم إنكاره ذلك وإغضاءه عنك، فإن سوّغك ما كان منك مضيتَ عليه قُدُماً، فعليك لعنة الله من عند أخفش العيْنَين، أصكّ الرِّجْلين[7]، ممسوح الجاعرتَين[8]! ولولا أنّ أمير المؤمنين يظنّ أنّ الكاتب أكثر في الكتابة عن الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأرسل[9] مَنْ يسحبك ظهراً لبطن، حتى يأتي بك أَنَساً فيحكم فيك، فأكرِمْ أنَساً وأهل بيته، واعرِفْ له حقّه وخِدمته رسول الله ﷺ، ولا تقصّرنّ في شيء من حوائجه، ولا يبلغنّ أميرَ المؤمنين عنك خلاف ما تقدّم فيه إليك من

(١) نهاية الأرب ٢١/٢١٧ - ٢١٩.
(٢) في الأوربية: «حوّال».
(٣) في الأوربية: «بمن».
(٤) في طبعة صادر ٤/٣٨٦ «فعلوت» بالعين المهملة.
(٥) في الأوربية: «المستعربة»، وفي (ر): «المستنفرة». والمستفرمة: التي تضع دواء تتضيق به.
(٦) في العقد الفريد: «للثعالب».
(٧) أصكّ الرِجلين: مضطرب الركبتين والعرقوبين. (القاموس المحيط).
(٨) الجاعرتان: حرفا الوركين المشرفين على الفخذين.
(٩) في الأوربية: «لا تألّ»، وفي نهاية الأرب ٢١/٢٢٠: «لأتاك».

أمر أنس، وبِرّه وإكرامه، فيبعث إليك مَنْ يضرب ظهرك، ويهتك سترك، ويُشْمت بك عدوّك، والقه في منزله متنصّلاً إليه، وليكْتُبْ إلى أمير المؤمنين برضاه عنك، إن شاء الله، والسلام.

وبعث بالكتاب مع إسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم، فأتى إسماعيلُ أنساً بكتاب أمير المؤمنين إليه فقرأه، وأتى الحَجّاجَ بالكتاب إليه، فجعل يقرأه ووجْهه يتغيّر ويتغبّر[1]، وجبينه يرشح عرَقاً ويقول: يغفر الله لأمير المؤمنين. ثمّ اجتمع بأنَس، فرحّب به الحجّاج واعتذر إليه وقال: أردتُ أن يعلم أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان، وإذ بلغتُ منك ما بلغت أنّي إليهم بالعقوبة أسرع.

فقال أنس: ما شكوتُ حتّى بلغ منّي[2] الجهد، وحتّى زعمتَ أنّا الأشرار، وقد سمّانا اللّهُ الأنصار، وزعمتَ أنّا أهل النفاق، ونحن الذين تبوّأوا الدّار والإيمان، وسيحكم الله بيننا وبينك، فهو أقدر على التغيير، لا يشبه الحقُّ عنده الباطلَ، ولا الصدقُ الكذبَ، وزعمتَ أنّك اتّخذتني ذريعةً، وسلّماً إلى مساءة أهل العراق، باستحلال ما حرّم الله عليك منّي، ولم يكن لي عليك قوّة، فوكلتُك إلى الله، ثمّ إلى أمير المؤمنين، فحفظ من حقّي ما لم تحفظ، فوالله لو أنّ النصارى على كفرهم رأوا رجلاً خدم عيسى بن مريم يوماً واحداً، لعرفوا من حقّه ما لم تعرف أنتَ من حقّي، وقد خدمتُ رسول الله ﷺ، عشر سنين. وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عليه وأثنينا[3]، وإن رأينا غير ذلك صبرنا، والله المستعان. وردّ عليه الحجّاج ما كان أخذ منه[4].

ذكر شير زنجي والزنج معه

اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيّام مُصْعب بن الزّبَير، ولم يكونوا بالكثير، فأفسدوا وتناولوا الثمار، ووليَ خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثُروا، فشكا الناس إليه ما نالهم منهم، فجمع لهم جيشاً، فلمّا بلغهم ذلك تفرّقوا، وأخذ بعضهم، فقتلهم وصلبهم.

فلمّا كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا، خرج الزنجُ أيضاً، فاجتمع منهم خلقٌ كثير بالفرات، وجعلوا عليهم رجلاً اسمه رباح، ويلقّب شير زنجي، يعني أسد الزّنج،

(١) في نهاية الأرب ٢١/٢٢١ «ويتمعّر».
(٢) في الأوربية: «من».
(٣) في الأوربية: «وأثنيناه».
(٤) نهاية الأرب ٢١/٢١٩ - ٢٢١.

فأفسدوا، فلمّا فرغ الحَجّاج من ابن الجارود أمر زيادَ بن عَمْرو، وهو على شُرطة البصرة، أن يرسل إليهم جيشاً يقاتلهم، ففعل وسيّر إليهم جيشاً عليه ابنه حفص بن زياد، فقاتلهم، فقتلوه وهزموا أصحابه، ثمّ أرسل إليهم جيشاً آخر، فهزم الزّنج وقتلهم، واستقامت البصرة[1].

ذكر إجلاء الخوارج عن رامَهُرْمُز وقتل ابن مِخْنف

لما أتَى كتابُ الحجّاج إلى المهلّب وابن مِخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج، زحفوا إليهم، وقاتلوهم شيئاً من قتال، فانهزمت الخوارج كأنّهم على حامية، ولم يكن منهم قتال، وسار الخوارج حتّى نزلوا كازَرُون، وسار المهلّب وابن مِخْنف حتّى نزلوا بهم، وخندق المهلّب على نفسه، وقال لابن مخنف: إن رأيتَ أن تخندق عليك فافعلْ. فقال أصحابه: نحن خندقُنا سيوفُنا.

فأتَى الخوارجُ المهلّبَ ليبيّتوه، فوجدوه قد تحرّز، فمالوا نحو ابن مِخْنف، فوجدوه لم يخندق، فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل في أناسٍ من أصحابه، فقُتل وقُتلوا [حولَه]، فقال شاعرهم:

لمنِ العسكَرُ المكلّلُ بالصَّر	عَى فهُمْ بينَ ميّتٍ وقَتيلِ
فتراهم تَسفي الرّياحُ عليهِمْ	حاصِبَ[2] الرّملِ بعد جرّ الذّيولِ[3]

هذا قول أهل البصرة.

فأمّا أهل الكوفة فإنّهم ذكروا أنّه لما وصل كتابُ الحجّاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلّب، وعبدُ الرحمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ومالت الخوارج إلى المهلّب، فاضطّروه إلى عسكره، فأرسل إلى عبد الرحمن يستمدّه، فأمدّه عبدُ الرحمن بالخيل والرجال، وكان ذلك بعد الظُّهر لعَشْرٍ بقين من رمضان.

فلمّا كان بعد العصر، ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الرجال، ظنّوا أنّه قد خفّ أصحابه، فجعلوا بإزاء المهلّب مَنْ يشغله، وانصرفوا بجُنْدهم إلى عبد الرحمن، فلمّا رآهم قد قصدوه نزل، ونزل معه القُرّاء، منهم: أبو الأحْوص، صاحب ابن مسعود، وخُزَيْمة بن نصر أبو نصر بن خُزَيْمة العبْسيُّ، الذي قُتل مع زيد بن

(١) نهاية الأرب ٢١/٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) في (آ) و(ر): «حاحب»، وبهامشهما: «صاحب».

(٣) الطبري ٦/٢١٢.

عليّ، وصُلب معه بالكوفة، ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلاً، وحملت عليهم الخوارج، فقاتلهم قتالاً شديداً، وانكشف الناسُ عنه، وبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمَن بعثه إلى المهلّب، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه، فلم يتبعه إلاّ ناسٌ قليل، فجاء حتّى دنا من أبيه، فحالت الخوارج بينهما، فقاتل حتّى جُرح. وقاتل عبدُ الرحمن ومَنْ معه على تلّ مشرف، حتّى ذهب نحوُ من ثُلُثَيِ الليل، ثمّ قُتل في تلك العصابة، فلمّا أصبحوا جاء المهلّب فدفنه، فصلّى عليه، وكتب بذلك إلى الحَجّاج، فكتب الحَجّاج إلى عبد الملك بذلك، فترحّم عليه، وذمّ أهل الكوفة.

وبعث الحجّاج إلى عسكر عبد الرحمن، عتّابَ بن ورقاء، وأمره أن يسمع للمهلّب، فساءه ذلك ولم يجد بُدّاً من طاعته، فجاء إلى العسكر، وقاتل الخوارج، وأمرُه إلى المهلّب وهو يقضي أموره، ولا يكاد يستشير المهلّب. فوضع عليه المهلّبُ رجالاً[1] اصطنعهم وأغراهم به، منهم بِسْطام بن مَصقلة بن هُبَيرة. وجرى بين عتّاب والمهلّب ذات يوم كلام، أغلظ كلٌّ منهما لصاحبه، ورفع المهلّب القضيب على عتّاب، فوثب إليه ابنه المغيرةُ بن المهلّب، فقبض القضيب وقال: أصلحَ اللّهُ الأميرَ! شيخ من أشياخ العرب، وشريف من أشرافهم، إن سمعتَ [منه] بعضَ ما تكره، فاحتمله له، فإنّه لذلك أهل. ففعل، فافترقا، فأرسل عتّاب إلى الحجّاج يشكو المهلّب، ويسأله أن يأمره بالعَوْد إليه، فوافق ذلك حاجةً من الحجّاج إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب[2]، فاستقدمه وأمره أن يترك ذلك الجيش مع المهلّب، فجعل المهلّب عليهم ابنَه حبيباً[3].

وقال سُراقة بن مِرْداس البارقيُّ يرثي عبد الرحمن بن مِخْنَف:

ثوَى سيّد الأزدَيْنِ[4] أزدِ شَنُوءةٍ	وأزدِ عُمانَ رهن رَمْسٍ[5] بكازِرِ
وضاربَ حتّى ماتَ أكرَمَ ميتةٍ	بأبيضَ صافٍ كالعقيقةِ[6] باتِرِ
وصُرِّعَ عند[7] التَّلِّ[8] تحتَ لوائِهِ	كِرامُ المَساعي من كِرامِ المعاشِرِ

---

(١) في الأصل: «رجلاً».
(٢) في الأوربية: «سببه».
(٣) الطبري ٦/٢١٢، ٢١٣.
(٤) في الأوربية: «الأزد ابن».
(٥) في الأوربية: «أمس».
(٦) في (ب) و(ر): «كالعتيقة».
(٧) الطبري: «حول».
(٨) في الأوربية: «تلّ».

قضَى نحبَه يومَ اللّقاء ابنُ مِخْنفٍ   وأدبرَ عنهُ كلُّ ألوَثَ داثِرِ[1]
أمدَّ ولم يُمدَدْ فراحَ مشَمّراً   إلى اللّهِ لم يذهبْ بأثوابِ غادِرِ

وأقام المهلّب بسابور يقاتلهم نحواً[2] من سنة[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تحرّك صالح بن مسرّح أحد بني امرىء القيس بن زيد مَناة من تميم، وكان يرى رأيَ الصُّفْريّة، وهو أوّل مَن خرج فيهم، وحجّ هذه السنة ومعه شَبيب بن يزيد، وسُوَيْد، والبَطِين، وأشباههم[4]، وحجّ في هذه السنة عبدُ الملك بن مروان، فهمّ شبيب أن يفتك به، فبلغه ذلك من خبرهم، فكتب إلى الحجّاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم، وكان شيخاً صالحاً يأتي الكوفة، فيقيم بها الشهر ونحوه، فيلقى أصحابه ويُعِدّ ما يحتاج إليه، فلمّا طلبه الحجّاجُ نبتْ به الكوفةُ فتركها[5].

وفيها غزا محمّد بن مروان الصائفة عند خروج الروم إلى العَمْق[6] من ناحية مَرْعَش.

وحجّ بالناس عبد الملك[7]، فخطب الناسَ بالمدينة، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أمّا بعدُ، فإنّي لستُ بالخليفة المُستضعَف، يعني عثمان، ولا بالخليفة المداهِن، يعني معاوية، ولا بالخليفة المأفون، يعني يزيد، ألا وإنّي لا أداوي هذه الأمّة إلّا بالسيف حتّى تستقيم لي قناتُكم، وإنّكم تحفّظوننا[8] أعمال المهاجرين الأوّلين ولا تعملون مثل أعمالهم، وإنّكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم[9]، واللّهِ لا يأمرني أحدٌ

---

(١) في الأوربية: «غادر».

(٢) في الأوربية: «نحو».

(٣) الطبري ٦/٢١٤، ٢١٥، والأبيات في: ديوان سُراقة ٤٣.

(٤) الطبري ٦/٢١٥.

(٥) الطبري ٦/٢١٥.

(٦) في طبعة صادر ٤/٣٩١ «الغَنيق»، وهو وهْم، والصحيح ما أثبتناه، وهو مفرد «الأعماق» الذي ورد في تاريخ خليفة ٢٧١، وفتوح البلدان ٢٢٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، وما أثبتناه عن: تاريخ خليفة ٢٧، والعَمْق: كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية. (معجم البلدان ١/ مادّة الأعماق).
وقد سبق وأورد المؤلّف ـ رحمه الله ـ هذا الخبر في أول حوادث هذه السنة، فلْيُراجع.

(٧) مختصر التاريخ ٨٩

(٨) في (ر): «تكلفون».

(٩) في الأوربية: «أنفسهم».

بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربتُ عنقه. ثمّ نزل[1].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات العِرْباض بن سارية[2] السُّلَميُّ، وهو من أهل الصُّفّة، وقيل: بل مات بالشام في فتنة ابن الزّبير.

وفيها توفّي الأسود بن يزيد[3] النَّخَعيّ، وهو ابن أخي علقمة بن قيس.

---

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٤، والعقد الفريد ٤/٩٠، ٩١، ونهاية الأرب ٢١/٢٢٣، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٢٥.

(٢) انظر عن (العرباض بن سارية) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٦٦٦ رقم ٢١٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (الأسود بن يزيد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٥٩ رقم ١٣٨ وفيه مصادر ترجمته.

٧٦
ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر خروج صالح بن مسرِّح

كان صالح بن مسرِّح التميميُّ رجلاً ناسكاً، مُصْفَرّ الوجه، صاحب عبادة، وكان بِداراً وأرض الموصل والجزيرة، وله أصحاب يقرأ بهم القرآن والفقه، ويقصّ عليهم، فدعاهم إلى الخروج وإنكار الظُّلم، وجهاد المخالفين لهم، فأجابوه، وحثّهم عليهم، فراسل أصحابه بذلك وتلاقوا به[1]، فبينا هم في ذلك إذ قدِم عليه كتاب شَبيب يقول له: إنّك كنتَ تريد الخروجَ، فإن كان ذلك من شأنك اليوم، فأنتَ شيخ المسلمين، ولن نَعدِل بك أحداً، وإن أردتَ تأخير ذلك [اليوم] أعلِمْني، فإنّ الآجال[2] غادية ورائحة، ولا آمن أن تخترمني المنيّة ولم أجاهد الظالمين.

فكتب إليه صالح: إنّه لم يمنعني من الخروج إلّا انتظارك، فأقبِلْ إلينا، فإنّك ممّنْ لا يُستغنى عن رأيه، ولا تُقضَى دونَه الأمور. فلمّا قرأ شبيب كتابه دعا نفراً من أصحابه، منهم: أخوه مُصَاد بن يزيد بن نُعَيْم الشيبانيُّ، والمحلِّل بن وائل اليَشكريُّ، وغيرهما، وخرج بهم حتّى قدِم على صالح بِدَارا، فلمّا لقِيه قال: اخرجْ بنا رحِمك الله، فوالله ما تزداد [السُّنّة] إلّا دروساً، ولا يزداد المجرمون إلّا طغياناً.

فبثّ صالح رُسُلَه، وواعد أصحابه الخروج[3] إلى ذلك هلال صفر سنة ستٍّ وسبعين، فاجتمعوا عنده تلك الليلة، فسأله بعضهم عن القتال[4] قبل الدّعاء أم بعده؟ فقال: بل ندعوهم، فإنّه أقطع لحجّتهم. فقال له: كيف ترى فيمَن قاتلنا فظفرنا به، ما تقول في دمائهم وأموالهم؟ فقال لهم: إن قتلنا وغنِمنا فلنا، وإن عفونا فموسَّع[5] علينا.

---

(١) في الأوربية: «فيه».
(٢) في الأوربية: «الأجل».
(٣) في الأوربية: «بخروج».
(٤) في الأوربية: «القتل».
(٥) في الأوربية: «فوسع».

ثمّ وعظ أصحابه وأمرهم بأمره، وقال لهم: إنّ أكثركم رجّالة، وهذه دوابّ لمحمّد بن مروان، فابدأوا بها فاحملوا عليها رجالكم، وتقوّوا بها على عدوّكم.

فخرجوا تلك الليلة، فأخذوا الدوابّ فاحتملوا عليها، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة. وتحصّن[1] منهم أهلها وأهل نَصِيبين وسِنْجار، وكان خروجه وهو في مائة وعشرين، وقيل: وعشرة.

وبلغ محمّداً مخرجُهم، وهو أمير الجزيرة، فأرسل عديَّ بن عديّ الكِنْديَّ إليهم في ألف فارس، فسار من حَرّان، فنزل دَوْغان، وكانوا أوّل جيش سار إلى صالح، وسار عديّ وكأنّه يُساق إلى الموت. وأرسل إلى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد، ويُعْلمه أنّه يكره قتاله، وكان عديّ ناسكاً، فأعاد صالح: إن كنتَ ترى رأينا خرجنا عنك، وإلاّ فنرى رأينا. فأرسل إليه عديّ: إنّي لا أرى رأيك، ولكنّي أكره قتالك وقتال غيرك. فقال صالح لأصحابه: اركبوا، فركبوا، وحبسَ الرسولَ عنده ومضى بأصحابه فأتى عديّاً وهو يصلّي الضُحى، فلم يشعروا إلاّ والخيل طالعة عليهم، فلمّا رأوها تنادوا، وجعل صالح شبيباً في ميمنته، وسُوَيد بن سُلَيم في ميسرته، ووقف في القلب، فأتاهم وهم على غير تعبية، وبعضهم يجول في بعض، فحمل عليهم شبيب وسُوَيد فانهزموا، وأُتي عديّ بن عديّ بدابّته فركبها وانهزم، وجاء صالح ونزل في معسكره، وأخذوا ما فيه.

ودخل أصحابُ عديّ على محمّد بن مروان، فغضب على عديّ، ثمّ دعا خالد بن جزء[2] السُّلَميَّ، فبعثه في ألف وخمسمائة، ودعا الحارثَ بن جَعْوَنة العامريَّ[3] فبعثه في ألف وخمسمائة، وقال: اخرجا إلى هذه المارقة وأغذّا السيرَ، فأيّكما سبق فهو الأمير على صاحبه. فخرجا متساندَيْن يسألان عن صالح، فقيل لهما: إنّه نحو آمِد، فقصداه، فوجّه صالح شبيباً في شطْرٍ من أصحابه إلى الحارث بن جَعْوَنة، وتوجّه هو نحو خالد، فاقتتلوا من وقت العصر أشدّ قتال، فلم تثبتْ خيل محمّد لخيل صالح، فلمّا رأى أميراهم ذلك ترجّلا، وترجّل معهما أكثر أصحابهما، فلم يقدر أصحابُ صالح حينئذٍ عليهم، وكانوا إذا حملوا استقبلتهم الرَّجّالة بالرماح، ورماهم الرّماةُ بالنَّبل، وطاردهم خيّالتهم، فقاتلوهم إلى المساء، فكثُرَتِ الجراح في الفريقَين، وقُتل من أصحاب صالح نحو ثلاثين رجلاً، ومن أصحاب محمّد أكثر من سبعين.

فلمّا أمسَوا تراجعوا، فاستشار صالح أصحابه، فقال شبيب: إنّ القوم قد اعتصموا

(١) في الأوربية: «وتحصّنوا».
(٢) في (آ): «حزء»، و (ر): «خره».
(٣) في (ر): «الجاري».

بخندقهم، فلا أرى أن نقيم عليهم. فقال صالح: وأنا أرى ذلك. فخرجوا من ليلتهم سائرين، فقطعوا أرض الجزيرة وأرضَ الموصل، وانتهوا إلى الدّسْكَرة. فلمّا بلغ ذلك الحجّاجَ سرّح إليهم الحارثَ بن عميرة[1] بن ذي الشعار[2] في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، فسار حتّى دنا من الدَّسْكرة، وخرج صالح بن مُسرّح حتّى أتى قرية يُقال لها مدبج، على تخوم ما بين الموصل وجُوخى، وصالح في تسعين رجلاً، فلقِيهم الحارث لثلاث عشرة بقين من جُمادَى، فاقتتلوا، فانهزم سُوَيد بن سُلَيم في ميسرة صالح، وثبت صالح، فقُتل. وقاتل شبيب حتّى صُرع عن فرسه، فحمل عليهم راجلاً، فانكشفوا عنه، فجاء إلى موقف صالح فأصابه قتيلاً، فنادى: إليّ يا معشر المسلمين، فلاذوا به. فقال لأصحابه: ليجعلْ كلّ واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه، ولْيُطاعن عدوّه حتّى يدخل هذا الحُصَين ونرى رأينا، ففعلوا ذلك ودخلوا الحُصَين جميعهم، وهم سبعون رجلاً، وأحاط بهم الحارث وأحرق عليهم الباب، وقال: إنّهم لا يقدرون على الخروج منه[3].

(مُسَرِّح: بضمّ الميم، وفتح السين المهملة، وتشديد الراء وكسرها، وبالحاء المهملة. وجَعْوَنة بفتح الجيم، وسكون العين المهملة، وفتح الواو، وآخره نون).

ذكر بيعة شَبيب الخارجي ومحاربة الحارث بن عميرة[4]

فلمّا أحرق الحارثُ البابَ على شبيب ومَنْ معه وقال: إنّهم لا يقدرون على الخروج منه، ونصبّحهم غداً فنقتلهم، وانصرف إلى عسكره، قال شبيب لأصحابه: ما تنتظرون؟ فواللّهِ لئن صبّحكم هؤلاء غدوة إنّه لَهَلاكُكُم. فقالوا: مُرْنا بأمرك. فقال: بايعوني أو مَنْ شئتم من أصحابكم، واخرجوا بنا حتّى نشدّ عليهم في عسكرهم، فإنّهم آمنون.

فبايعوا شبيباً، وهو شبيب بن يزيد بن نُعَيم الشيبانيُّ، وأتَوا باللُّبود فبلّوها، وجعلوها على جمر الباب وخرجوا، فلم يشعر الحارث إلّا وشبيب وأصحابه يضاربونهم بالسيوف في جوف العسكر، فصُرع الحارث، فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن، وحوى شبيبٌ عسكرهم، وكان ذلك الجيش أوّل جيش هزمه شبيب[5].

---

(١) في (ب): «عمير».

(٢) في (ب): «المشعان»، وفي (آ): «المسعان».

(٣) الخبر في: تاريخ الطبري ٦/٢١٦ - ٢٢٣، ونهاية الأرب ٢١/١٦١ - ٦٤، وتاريخ الإسلام (٦١-٨٠ هـ.) - ص ٣٢٧، ٣٢٨، والبداية والنهاية ٩/١٢، ١٣، وانظر: تاريخ خليفة ٢٧٤.

(٤) في (ب): «عمير».

(٥) الطبري ٦/٢٢٣، نهاية الأرب ٢١/١٦٤.

ذكر الحرب بين أصحاب شبيب وغيره

ثمّ إنّ شبيباً لقي سلامة بن سِنان التيميَّ، تيم شيبان، بأرض الموصل، فدعاه إلى الخروج معه، فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارساً ينطلق بهم نحو عَنَزة، فيشفي نفسَه منهم، فإنّهم كانوا قتلوا أخاه فَضالة، وذلك أنّ فَضَالة كان خرج في ثمانية عشر رجلاً حتّى نزل ماءً يقال له الشجرة، عليه أثلة عظيمة، وعليه عَنَزة نازلون، فلمّا رأوه قالوا: نقتل هؤلاء، ونغدو على أميرنا، فيُعْطينا شيئاً، فقال أخواله من بني نصر: لا نساعدكم على قتل ابن أخينا، فنهضتْ عَنَزَة فقتلوهم، وأتوا برؤوسهم عبد الملك بن مروان، فلذلك أنزلهم بانِقْيا وفرض لهم، ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض إلاّ قليلة، فقال سلامة أخو فَضالة يذكر قتل أخيه وخذْلان أخواله إيّاه:

وما خِلْتُ أخوالَ الفتى يُسلمونَه لِوَقْع السلاحِ قبلَ ما فَعَلَتْ نصرُ[1]

وكان خروج فَضالة قبل خروج صالح فأجابه شَبيب، فخرج حتّى انتهى إلى عَنَزة، فجعل يقتل محلّة بعد محلّة، حتّى انتهَى إلى فريق منهم، فيهم خالته قد أكبّت على ابن لها، وهو غلام حين احتلم، فأخرجت ثدْيها وقالت: أنشدك برحِم هذا يا سلامة! فقال: والله ما رأيتُ فَضالة مُذْ أناخ بأصل الشجرة، يعني أخاه، لتقومِنّ عنه، أو لأجمعنّكما بالرمح! فقامت عنه فقتله[2].

ذكر مسير شَبيب إلى بني شيبان وإيقاعه بهم

ثمّ أقبل شبيب في خيله نحو راذان، فهرب منه طائفة من بني شيبان، ومعهم ناس من غيرهم قليل، حتّى نزلوا دَيْرَ خُرَّزاد[3] إلى جنب حَوْلايا، وهم نحو ثلاثة آلاف، وشبيبٍ في نحو سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً، فنزل بهم فتحصّنوا منه.

ثمّ إنّ شبيباً سرى في اثني عشر رجلاً إلى أمّه، وكانت في صَفْح جبل ساتِيدَما، فقال: لآتينّ بها تكون[4] في عسكري لا تفارقني حتّى تموت أو أموت. فسار بهم ساعةً، وإذا هو بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين، لا يرون أن شبيباً يمرّ بهم ولا يشعر بهم، فحمل عليهم، فقتل ثلاثين شيخاً، فيهم حَوْثرة بن أسد، ومضى شبيب إلى أمّه فحملها، وأشرف رجل من الدَّير على أصحاب شبيب، وكان قد استخلف شبيب عليهم

(١) الطبري ٦/٢٢٤.

(٢) الطبري ٦/٢٢٤، ٢٢٥، نهاية الأرب ٢١/١٦٥.

(٣) في الأوربية: «دَيْراً خرباً»، وفي (ب): «جرداب».

(٤) في الأوربية: «بما يكون».

أخاه مُصاد بن يزيد، وهم قد حصروا مَنْ في الدير، فقال: يا قوم بيننا وبينكم القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[1] فكُفّوا عنّا حتّى نخرج إليكم على أمان، وتعرضوا علينا أمركم، فإن قَبِلناه حرمتْ عليكم دماؤنا وأموالنا، وإن نحن لم نقبله رددتمونا إلى مأمننا، ثمّ رأيتم رأيكم. فأجابوهم، فخرجوا إليهم، فعرض عليهم أصحابُ شبيب قولهم، فقبلوه كلّه، ثمّ خالطوه ونزلوا إليهم، وجاء شبيب فأخبر بذلك، فقال: أصبتم ووُفّقتم[2].

ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثْعَميّ

ثمّ إنّ شبيباً ارتحل، فخرج معه طائفة وأقامت طائفة، وسار شبيب في أرض الموصل نحو أَذْرَبيْجان، وكتب الحَجّاج إلى سفيان بن أبي العالية الخثعميّ يأمره بالقفول، وكان معه ألف فارس، يريد أن يدخل بها طبرستان. فلمّا أتاه كتاب الحَجّاج صالح صاحب طبرستان ورجع، فأمره الحَجّاج بنزول الدَّسكرة حتّى يأتيه جيش الحارث بن عُمَيرة الهمدانيّ، وهو الّذي قتل صالحاً، وحتّى[3] تأتيه خيل المناظر، ثمّ يسير إلى شبيب. فأقام بالدَّسكرة، ونودي في جيش الحارث: الحرب بالكوفة والمدائن، فخرجوا حتّى أتوا سفيان، وأتته خيل المناظر، عليهم سَوْرة بن الحُرّ[4] التميميُّ، فكتب إليه سَوْرة بالتوقّف حتّى يلحقه، فعجّل سفيان في طلب شبيب، فلحِقَه بخانِقين، وارتفع شبيب عنهم حتّى كأنّه يكره قتالهم، وأكمن أخاه مُصاداً في هَزم[5] من الأرض في خمسين رجلاً فارساً، ومضى في سفح الجبل، فقالوا: هرب عدوّ الله، فاتبعوه، فقال لهم عديّ بن عُمَيرة الشيبانيّ: لا تعجّلوا حتّى نبصر الأرض لئلّا يكون قد كمَن فيها كميناً.

فلم يلتفتوا، فاتبعوه، فلمّا جازوا الكمين رجع عليهم شبيب، وخرج أخوه في الكمين، فانهزم الناس بغير قتال، وثبت سُفيان في نحو من مائتَيْ رجل، فقاتلهم قتالاً شديداً، وحمل سُوَيد بن سُلَيم على سفيان فطاعَنَه، ثمّ تضاربا بالسيوف، واعتنق كلّ واحدٍ منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض. ثمّ تحاجزوا، وحمل عليهم شبيب فانكشفوا، وأَتى سفيانَ غلامٌ له، فنزل عن دابّته وأركبه وقاتل دونه، فقُتل الغلام، ونجا سفيان حتّى انتهى إلى بابل مهرُوذ، وكتب إلى الحجّاج بالخبر، ويعرّفه وصول الجُنْد إلّا سَوْرة بن

---

(١) سورة التوبة ٩، الآية ٦.
(٢) الطبري ٦/٢٢٥، ٢٢٦، نهاية الأرب ٢١/١٦٦.
(٣) في الأوربية: «حتى».
(٤) في (ر): «أبجر».
(٥) الأوربية: هرم. (والهزم: ما اطمأنّ من الأرض).

الحُرّ، فإنّه لم يشهد معي القتال، فلمّا قرأ الحجّاج الكتابَ أثنى عليه[1].

ذكر الوقعة بين شبيب وسَوْرة بن الحُرّ

فلمّا وصل كتاب سفيان إلى الحجّاج كتب إلى سَوْرة بن الحرّ يلومه ويتهدّده، ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس، ويسير بهم وبمن معه إلى شبيب. ففعل ذلك سَوْرة وسار نحو شبيب، وشبيب يجول في جُوخى، وسَورة في طلبه، حتّى انتهى إلى المدائن، فتحصّنوا منه، وأخذ منها دوابّ، وقتل مَنْ ظهر له، فأتَى فقيل له: هذا سَوْرة قد أقبل، فخرج حتّى أتى النِّهروان، فصلّوا وترحّموا على أصحابهم الذين قتلهم عليّ، وتبرّأوا من عليّ وأصحابه. وأخبرت سَوْرةَ عيونُه بمنزل شبيب، فدعا أصحابه فقال: إنّ شبيباً لا يزيد على مائة رجل، وقد رأيتُ أن أنتخبكم فأسير في ثلاثمائة رجل من شجعانكم، فآتيه وهو آمن بَياتكم، فإنّي أرجو من الله أن يصرعهم. فأجابوه إلى ذلك، فانتخب ثلاثمائة، وسار بهم نحو النهروان، وبات شبيب وقد أذكى الحرس، فلمّا دنا أصحاب سَوْرة علموا بهم، فاستووا على خيولهم، وتعبّوا تعبيتهم للحرب، فلمّا انتهَى إليهم سورة رآهم قد حذِروا، فحمل عليهم، فثبتوا له وضاربوهم، وصاح شبيب بأصحابه، فحملوا عليهم حتّى تركوا العَرْصَة، وشبيب يقول:

مَن يَنِكِ العَيرَ يَنِكْ نيّاكا[2] ... جَنْدَلَتانِ اصطكّتا اصطكاكا

فرجع سورةُ إلى عسكره وقد هُزم الفرسان وأهل القوّة، فتحمّل بهم، وأقبل نحو المدائن، واتبعه شبيبٌ يرجو[3] أن يدركه فيصيب عسكره. فوصل إليهم وقد دخلَ الناسُ المدائنَ، وخرج ابن أبي العُصَيْفر أميرُ المدائن في أهل المدائن، فرموا أصحاب شبيب بالنَّبل والحجارة، فارتفع شبيب عن المدائن، فمرّ على كَلواذى، فأصاب بها دوابَّ كثيرةً للحَجّاج، فأخذها ومضى إلى تَكريت، وأرجف الناسُ بالمدائن بوصول شبيب إليهم، فهرب مَنْ بها من الجُنْد نحو الكوفة، وكان شبيب بتَكريت، ولامَ الحجّاجُ سَوْرة وحبسه، ثمّ أطلقه[4].

---

(١) الطبري ٦/٢٢٦ ـ ٢٢٨، نهاية الأرب ٢١/١٦٧، ١٦٨.

(٢) في الأوربية: من نَيّك العير فنِكْ نَيّاكا.

(٣) في الأوربية: «مرجوًا».

(٤) الطبري ٦/٢٢٨ ـ ٢٣٠، ونهاية الأرب ٢١/١٦٨، ١٦٩.

ذكر الحرب بين شبيب والجَزْل بن سعيد وقتل سعيد بن مُجالد

فلمّا قدِم الفَلُّ الكوفة سيّر الحجّاجُ الجَزْلَ بن سعيد بن شُرَحْبيل الكِنْديَّ، واسمه عثمان، نحو شبيب، وأوصاه بالاحتياط وترْك العجَلة، فقال له: لا تبعث معي من الجُنْد المهزوم أحداً، فإنّهم قد دخلهم الرعبُ، ولا ينتفع بهم المسلمون. قال: قد أحسنتَ. فأخرج معه أربعة آلاف، فساروا معه، فقدّم الجَزلُ بين يديه عياضَ بن أبي لُبْنة[1] الكِنْديَّ، فساروا في طلب شبيب، وجعل شبيبٌ يُريه الهيبةَ له، فيخرج من رُسْتاق إلى رُسْتاق، ولا يقيم إرادةَ أن يُفرّقَ الجزلُ أصحابه، فيلقاه وهو على غير تعبية. فجعل الجزلُ لا يسير إلّا على تعبية، ولا ينزل إلّا خَنْدَقَ على نفسه.

فلمّا طال ذلك على شبيب دعا أصحابه، وكانوا مائة وستّين رجلاً، ففرّقهم أربع فِرَق، على كلّ أربعين رجل من أصحابه، فجعل أخاه مُصاداً في أربعين، وسُوَيد بن سُلَيم في أربعين، والمُحَلَّل بن وائل في أربعين، وبقي هو في أربعين، وأتته عيونُه فأخبروه أنّ الجزلَ بدَيْر[2] يزدجرد، فأمر شبيبٌ أصحابه فعلّقوا على دوابّهم، ثمّ سار بهم، وأمر كلّ رأس من أصحابه أن يأتي الجزل من جهة ذكرها له، وقال: إنّي أريد أن أبيّته؛ وأمرهم بالجدّ في القتال؛ فسار أخوه، فانتهَى إلى دير الخَرّارة، فرأى للجزْل مَسْلَحةً مع ابن أبي لُبْنة[3]، فحمل عليهم مُصادٌ في أربعين رجلاً، فقاتلوه ساعةً، ثمّ اندفعوا بين يديه، وقد أدركهم شبيبٌ، فقال: اركبوا أكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم إن استطعتم.

واتّبعوهم ملحّين، فانتهوا إلى عسكرهم، فمنعهم أصحابه من دخول خندقهم، وكان للجزْل مَسَالح أخرى، فرجعتْ فمنعتهم من دخول الخندق، وقال: انضحوا عنكم بالنَّبل. وجعل شبيبٌ يحمل على المسالح حتّى اضطّرهم إلى الخندق، ورشقهم أهل العسكر بالنَّبل. فلمّا رأى شبيبٌ أنّه لا يصل إليه قال لأصحابه: سيروا ودَعوهم. فمضى على الطريق، ثمّ نزل هو وأصحابه فاستراحوا، ثمّ أقبل بهم راجعاً إلى الجزل أيضاً على التعبية الأولى وقال: أطيفوا بعسكرهم. فأقبلوا وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم (وقد أمنوا، فما شعروا إلّا بوقع حوافر الخيل، فانتهوا إليهم)[4] قبل الصبح، وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الأربع فقاتلوهم.

---

(١) في تاريخ الطبري ٦/٢٣١، ونهاية الأرب ٢١/١٦٩ «لِيْنَة».

(٢) في نهاية الأرب ٢١/١٧٠ «يريد»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) الطبري، نهاية الأرب «لينة».

(٤) ما بين القوسين من (ب).

ثمّ إنّ شبيباً أرسل إلى أخيه مُصَاد، وهو يقاتلهم من نحو الكوفة، أن أقبلْ إلينا وخلِّ لهم الطريق، ففعل، وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتّى أصبحوا، فسار شبيبٌ وتركهم ولم يظفر بهم، فنزل على ميل ونصف، ثمّ صلّى الغداة، ثمّ سار إلى جَرْجرايا.

وأقبل الجزْلُ في طلبهم على تعبية ولا ينزل إلاّ في خندق. وسار شبيبٌ في أرض جُوخى وغيرها يكسر الخراج، فطال ذلك على الحَجّاج، فكتب إلى الجزل يُنكِر عليه إبطاءه، ويأمره بمناهضتهم، فجدّ في طلبهم، وبعث الحَجّاجُ سعيدَ بن مُجالد على جيش الجزل، وأمره بالجدّ في قتال شبيب وترْك المطاولة.

فوصل سعيدٌ إلى الجزل، وهو بالنهروان قد خندق عليه، وقام في العسكر ووبّخهم وعجّزهم، ثمّ خرج وأخرج معه الناس، وضمّ إليه خيول أهل العسكر ليسير بهم جريدة إلى شبيبٍ، ويترك الباقين مكانهم، فقال له الجزلُ: ما تريد أن تصنع؟ قال: أقدم على شبيب في هذه الخيل. فقال له الجزلُ: أقمْ أنت في جماعة الناس فارسهم وراجلهم وأبرز لهم، فوالله ليقدمنّ عليك، ولا تفرّقْ أصحابك. فقال: قفْ أنت، في الصفّ. فقال الجزلُ: يا سعيد ليس لي في ما صنعتَ رأي، أنا بريء منه.

ووقف الجزلُ فصفّ أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق. وتقدّم سعيد بن مُجالد ومعه الناس، وقد أخذ شبيبٌ إلى قَطِيطيا فدخلها، وأمر دِهقاناً أن يُصلح لهم غداءً، ففعل وأغلق الباب، فلم يفرغ من الغداء حتّى أتاه سعيد في ذلك العسكر، فأقبل الدِّهقانُ فأعلم شبيباً بهم، فقال: لا بأسَ، قرّبِ الغداء، فقرّبه، فأكل[1] وتوضّأ وصلّى ركعتين، وركب بغلاً له[2] وخرج عليه، وسعيد على باب المدينة، فحمل عليهم فقال: لا حُكم إلاّ للحَكَم [الحَكيم]، أنا أبو مُدَلَّه[3]، اثبتوا إن شئتم.

وجعل سعيد يقول: هؤلاء إنّما هم أَكَلة رأس، وجعل يجمع خيله ويرسلها في أثر شبيب، فلمّا رأى شبيبٌ تفرُّقهم جمع أصحابه وقال: استعرضوهم، فوالله لأقتلنّ أميرَهم أو ليقتلني. وحمل عليهم مستعرضاً، فهزمهم، وثبتَ سعيد ونادى أصحابه، فحمل عليه شبيبٌ فضربه بالسيف فقتله، وانهزم ذلك الجيشُ، وقُتلوا [كلَّ قِتْلةٍ] حتى انتهوا إلى الجزل، فناداهم: أيّها الناس إليّ إليّ! وقاتلَ قتالاً شديداً حتّى حُمل من بين القتلى جريحاً، وقدِم المنهزمون الكوفة، وكتب الجزْلُ إلى الحَجّاج بالخبر ويُخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن، وكتب إليه الحَجّاج يُثْني عليه ويشكره، وأرسل إليه حَيّانَ بن أبْجَر ليداوي

---

(١) في الأوربية: «فأكلوا».

(٢) في الأوربية: «بغاله».

(٣) في الأوربية: «بدلة».

جراحته، وألْفَيْ درهم لينفقها، وبعث إليه عبد الله بن أبي عُصَيْفر بألف درهم، فكان يعوده ويتعاهده بالهديّة.

وسار شبيبٌ نحو المدائن، فعلم أنّه لا سبيل [له] إلى أهلها مع المدينة، فأقبل حتّى انتهَى إلى الكرخ، فعبر دجلةَ إليها، فأرسل إلى سوق بغداذ فآمنهم، وكان يوم سوقهم، وبلغه أنّهم يخافونه، واشترى أصحابه دوابّ وأشياء يريدونها[1].

ذكر مسير شبيب إلى الكوفة

ثمّ سار شبيبٌ إلى الكوفة، فنزل عند حمّام عُمَير بن سعد، فلمّا بلغ الحجّاجَ مكانُه بعث سُوَيد بن عبد الرحمن السعديَّ في ألْفَيْ رجل إليه، وقال له: القَ شبيباً فإنِ استطرد لك فلا تتبعه.

فخرج وعسكر بالسّبخة، فبلغه أنّ شبيباً قد أقبل فسار نحوه، فكأنّما يُساقون إلى الموت، فأمر الحجّاجُ عثمانَ بن قَطَن، فعسكر بالناس في السّبْخة، وسار سُويد إلى زُرارة، فهو يعبّيء أصحابه إذ قيل قد أتاك شبيب، فنزل ونزل معه جُلّ أصحابه، فأُخبر أنّ شبيباً قد تركك وعبر الفرات، وهو يريد الكوفة من وجهٍ آخر، فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم، وبلغ مَن بالسّبخة مع عثمان إقبالُ شبيب إليهم، فصاح بعضهم ببعض، وهمّوا أن يدخلوا[2] الكوفة حتّى قيل لهم: إنّ سُوَيْداً في آثارهم قد لحِقهم وهو يقاتلهم، وحمل شبيبٌ على سُوَيد ومَنْ معه حملةً منكرة، فلم يقدر منهم على شيء، وأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة، وذلك عند المساء، وتبعه سُوَيدٌ إلى الحيرة، فرآه قد ترك الحيرة وذهب، فتركه سُوَيد وأقام حتّى أصبح، وأرسل إلى الحجّاج يُعْلمه بمسير شبيب[3].

ذكر محاربة شبيب أهل البادية

وكتب الحجّاج إلى سُوَيد يأمره باتباعه، فاتّبعه، ومضى شبيبٌ حتّى أغار أسفل الفرات على مَنْ وجد من قومه، وارتفع في البرّ وراء خَفّان، فأصاب رجالاً من بني الوِرْثة، فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً، منهم حنظلة بن مالك[4]، ومضى شبيب حتّى أتى

---

(١) الطبري ٦/٢٣١ ـ ٢٣٦، نهاية الأرب ٢١/١٦٩ ـ ١٧٢.
(٢) في الأوربية: «يدخل».
(٣) الطبري ٦/٢٣٦، نهاية الأرب ٢١/١٧٢.
(٤) في (ب) زيادة: «ومالكُ بن حنظلة»، وكذا في: نهاية الأرب ٢١/١٧٣.

بني أبيه[1] على اللَّصَف[2]، وعلى ذلك الماء الفِزْر[3] بن الأسود، وهو أحد بني الصَّلت، وكان ينهَى شبيباً عن رأيه، وكان شبيبٌ يقول: لئن ملكتُ سبعة أعِنّة لأغزُونّ الفِزْرَ، فلمّا بلغهم خبرُ شبيب ركب الفِزرُ فرساً، وخرج من وراء البيوت، وانهزم منه الرجال، ورجع وقد أخاف أهل البادية، فأخذ على القُطْقُطانة[4]، ثمّ على قصر بني مُقاتل، ثمّ على الحَصّاصة، ثمّ على الأنبار، ومضى حتّى دخل دَقُوقاء، ثمّ ارتفع إلى أداني أذْرَبَيْجان.

فلمّا أبعد سار الحَجّاج إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عُرْوَة بن المغيرة بن شُعْبة. فما شعر الناسُ إلاّ وقد أتاهم كتابُ دِهقان بابل مَهْروذ إلى عُرْوة، يذكر له أن بعض جُباة الخراج أخبره أنّ شبيباً قد نزل خانيجار، وهو على قصْد الكوفة، فأرسل عُروةُ الكتابَ إلى الحجّاج بالبصرة، فأقبل مُجِدّاً نحو الكوفة يسابق شبيباً إليها[5].

ذكر دخول شبيب الكوفة

وأقبل شبيبٌ إلى قرية اسمها حَرْبَى، فقال: حربٌ يَصْلَى بها عدوّكم، ثمّ سار فنزل عَقْرقوف، فقال له سُوَيْد بن سُلَيم: يا أمير المؤمنين لَوْ[6] تحوّلتَ من هذه القرية المشؤومة الاسم. قال: وقد تطيّرْتَ أيضاً! والله لا أسير إلى عدوّي إلاّ منها، إنّما شؤمها على عدوّنا والعَقْر لهم، إن شاء الله.

ثمّ سار منها يبادر الحَجّاج إلى الكوفة، وكانت كتب عُروة ترِد عليه، أعني الحَجّاج، يحثّه على العَجَل إليهم، فطوى الحَجّاج المنازل، فنزلها الحَجّاج صلاة العصر، ونزل شبيبٌ بالسَّبخة صلاة المغرب، فأكلوا شيئاً، ثمّ ركبوا خيولَهم، فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق، وضرب شبيب باب القصر بعموده، فأثّر فيه أثراً عظيماً، ثمّ وقف عند المصْطبة وقال:

عبدٌ دعيٌّ مِنْ ثمودٍ أصلُهُ ... لا بل يُقال أبو أبيهم يَقْدُمُ[7]

---

(1) في الأوربية: «أميّة».

(2) في (ر): «النضف». واللَّصَف: بالتحريك، بركة في غربي طريق مكة. (مراصد الإطلاع).

(3) في الأصول: «الفزر، والغرز، والفرز»، وضُبِطت في: نهاية الأرب: «الفَزْر»، بفتح الفاء وسكون الزاي.

(4) القُطْقُطانة: بالضم، ثم السكون، ثم قاف أخرى مضمومة، وطاء أخرى، وبعد الألف نون وهاء. موضع قرب الكوفة من جهة البرّية بالطّفّ. (مراصد الإطلاع).

(5) الطبري ٦/٢٣٩، ٢٤٠، نهاية الأرب ٢١/١٧٣.

(6) في الأوربية: «أو».

(7) الطبري ٦/٢٤١، وفيه بيت قبله:

وكأنّ حافرها بكل خميلةٍ ... كَيْلُ يكيل به شحيحٌ مُعْدِمُ

يعني الحَجّاج؛ فإنّ بعض الناس يقول: إنّ ثقيفاً بقايا ثمود، وبعضهم يقول: هم من نَسل يَقْدُم الإياديّ.

ثمّ اقتحموا المسجدَ الأعظم، وكان لا يزال فيه قوم يصلّون، فقتلوا عَقيل بن مُصْعب الوادعيَّ، وعديَّ بن عَمرو الثقفيَّ، وأبا ليث بن أبي سُلَيْم، ومرّوا بدار حَوْشب، وهو على الشُّرَط، فقالوا: إنّ الأميرَ يطلبه، فأراد الركوبَ، ثمّ أنكرهم فلم يخرج إليهم، فقتلوا غلامه، ثمّ أتى الجحّاف بن نبيط الشيبانيّ فقال له: انزل لنقضيك ثمن البَكْرة الّتي اشتريتُ منك بالبادية. فقال الجحّاف: أما ذكرتَ أمانتَك[1] إلاّ والليل أظلم وأنت على فرسك يا سُوَيد؟ قبّح الله دَيناً لا يصلح إلاّ بإراقة الدماء وقتْل القرابة.

ثمّ مرّوا بمسجد[2] ذُهْل، فرأوا ذُهْل بن الحارث، وكان يُطيل الصلاة فيه، فقتلوه، ثمّ خرجوا من الكوفة، فاستقبلهم النَّضْر بن قَعْقاع بن شُور الذّهْليُّ، فقال له: السلامُ عليك أيّها الأمير. فقال له سُوَيد: أمير المؤمنين ويلك! فقال: أمير المؤمنين. فقال له شبيب: يا نضر، لا حُكمَ إلاّ لله، وأراد يلعنه، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فشدّ أصحابُ شبيب عليه فقتلوه، وكان قد أقبل مع الحجّاج من البصرة، فتخلّف عنه، وكانت أمّ النضر ناجية بنت هانىء بن قَبيصة الشيبانيّ، فأحبّ شبيب نجاته.

ثمّ خرجوا نحو المَرْدَمَة[3] وأمر الحَجّاج منادياً فنادى: يا خيلَ الله اركبي، وهو فوق باب القصر، وعنده مصباح، فكان أوّل مَن أتاه عثمان بن قَطن بن عبد الله بن الحُصَين ذي الغُصّة[4]، فقال: أعلِموا الأميرَ بمكاني. فقال له غلام للحجّاج: قِفْ بمكانك. وجاء الناس من كلّ جانب.

ثمّ إنّ الحجّاج بعث بِشر بن غالب الأسديَّ في ألفَيْ رجل، وزائدة بن قُدامة الثقفيَّ في ألفَيْ رجل، (وأبا الضُّرَيْس مولى بني تميم في ألفَيْ رجل)[5]، وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، وزياد بن عَمْرو العَتَكيَّ.

وكان عبدُ الملك بن مروان قد استعمل محمّد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله على سِجِسْتان، وكتب إلى الحجّاج ليجهّزه ويسيّره سريعاً في ألف رجل إلى عمله، فأقام يتجهّز، وحدث من أمر شبيب ما حدث، فقال له الحجّاج: تلقى شبيباً وهذه الخارجة

---

(١) في الأوربية: «ما ذكرتك أمانيك».
(٢) في: (ر): «بمسجد بنى».
(٣) في الأوربية: «الردمة».
(٤) في الأوربية: «ذي القصّة».
(٥) ما بين القوسين من (ب).

فتجاهدهم، ويكون الظفرُ لك ويطير اسمك، ثمّ تمضي إلى عملك. فسيّره معهم، وقال لهؤلاء الأمراء: إن كان حربٌ، فأميركم زائدة بن قُدامة. فسار هؤلاء الأمراء فنزلوا أسفل الفرات، فترك شبيبٌ الوجه الذي هم فيه، وأخذ نحو القادسيّة[1].

ذكر محاربة شبيب زَحْر بن قيس

ووجّه الحجّاج جريدة خيلٍ نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زَحْر بن قيس، وقال له: اتبعْ شبيباً حتّى تُواقعه أين أدركتَه، إلّا أن يكون ذاهباً، فاتركْه ما لم يعطف عليك أو يقيم. فخرج زَحْر حتّى انتهَى إلى السَّيْلحين، وأقبل شبيب نحوه، فالتقيا، فجمع شبيبٌ خيله، ثمّ اعترض بهم الصفّ حتّى انتهى إلى زَحْر، فقاتل زَحْر حتّى صُرع، وانهزم أصحابه وظنّوا أنّهم قتلوه، فلمّا كان السَّحَر وأصابه البرد قام يتمشّى حتّى دخل قريةً فبات بها، وحُمل منها إلى الكوفة، وبوجهه وبرأسه بضع عشرة[2] جراحة، فمكث أيّاماً، ثمّ أتَى الحجّاجَ فأجلسه معه على السرير، وقال لمن حوله: مَنْ أراد أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة يمشي بين الناس وهو شهيد لينظرْ إلى هذا[3].

ذكر محاربة الأمراء المقدّم ذكرهم وقتْل محمّد بن موسى بن طلحة

فلمّا هُزم أصحابُ زَحْر قال أصحابُ شبيب لشبيب: قد هزمنا لهم جُنْداً، انصرفْ بنا الآن وافرين. فقال لهم: هذه الهزيمة قد أرعبت هؤلاء الأمراء والجنود الذين في طلبكم، فاقصدوا بنا نحوَهم، فواللّهِ لئن قاتلناهم فما[4] دون الحجّاج مانع ونأخذ الكوفة إن شاء الله تعالى. فقالوا: نحن لرأيك تَبَعٌ.

فسار وسأل عن الأمراء، فأُخبر أنّهم برُوذْبار على أربعةٍ وعشرين فرسخاً من الكوفة، فقصدهم، فأرسل إليهم الحجّاجُ يُعْلمهم بمسيره ويقول لهم: إنّ أميرَ الجماعة زائدة بن قُدامة.

وانتهَى إليهم شبيبٌ وقد تعبّأوا للحرب، فكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عَمرو العَتَكيُّ، وفي ميسرتهم بِشر بن غالب الأسديُّ، وكلّ أمير واقفٌ في أصحابه، وأقبل

(١) الطبري ٦/٢٤٠ ـ ٢٤٣، نهاية الأرب ٢١/١٧٤، ١٧٥، البداية والنهاية ٩/١٣، ١٤.
(٢) في الأوربية: «بضعة عشر».
(٣) الطبري ٦/٢٤٣، ٢٤٤، نهاية الأرب ٢١/١٧٥، ١٧٦.
(٤) في الأوربية: «ما».

شبيبٌ على فرس كميت أغرّ في ثلاث كتائب، كتيبة فيها سُوَيد بن سُلَيْم، فوقف بإزاء الميمنة، وكتيبة فيها مُصَاد، أخو شبيب، فوقف بإزاء الميسرة، ووقف شبيبٌ مقابل القلب.

فخرج زائدة بن قُدامة يسير في الناس، ويحثّهم على الجهاد لعدوّهم والقتال، ويُطْمعهم في عدوّهم لقلّته وباطله وكثرتهم، وأنّهم على الحقّ، ثمّ انصرف إلى موقفه، فحمل سُوَيد بن سُلَيْم على زياد بن عَمْرو، فانكشفوا وثبت زياد في نحوٍ من نصف أصحابه، ثمّ ارتفع عنهم سُوَيد قليلاً، ثمّ حمل عليهم ثانيةً، فتطاعنوا ساعةً، وصبر زياد ساعةً، وقاتل زياد قتالاً شديداً، وقاتل سُوَيد أيضاً قتالاً شديداً، وإنّه لأشجع العرب، ثمّ ارتفع سُوَيدٌ عنهم، وإذا أصحابُ زياد يتفرّقون، فقال لسُوَيد أصحابه: ألا تراهم يتفرّقون؟ احملْ عليهم. فقال لهم شبيب: خلّوهم حتّى يخفّوا؛ فتركهم قليلاً، ثمّ حمل الثالثة فانهزموا، وأخذتْ زيادَ بن عَمْرو السيوفُ من كلّ جانب، فما ضرّه منها شيء للّبسة الّتي عليه، ثمّ إنّه انهزم وقد جُرح جراحةً يسيرة، وذلك عند المساء.

ثمّ حملوا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزموه، ولم يقاتل كثيراً، ولحِق بزياد بن عَمْرو، فمضيا منهزمَين، وحملت الخوارج حتّى انتهت إلى محمّد بن موسى بن طلحة عند المغرب، فقاتلوه قتالاً شديداً وصبر لهم، ثمّ إنّ مُصَاداً أخا شبيب حمل على بِشر بن غالب وهو في ميسرة أهل الكوفة، فصبر بِشر ونزل، ونزل معه نحو خمسين رجلاً، فقاتلوا حتّى قُتلوا عن آخرهم وانهزم أصحابه.

وحملت الخوارج على أبي الضُّرَيْس مولى بني تميم، وهو يلي بِشر بن غالب، فهزموه، حتّى انتهى إلى موقف أعْيَن فهزموهما، حتّى انتهوا بهما إلى زائدة بن قُدامة، فلمّا انتهوا إليه نادى: يا أهلَ الإسلام! الأرضَ الأرضَ، لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم. فقاتلهم عامّة الليل حتّى كان السَّحَر.

ثمّ إنّ شبيباً حمل عليه في جماعة من أصحابه، فقتله وقتل أصحابه، وتركهم رِبْضة حوله.

ولما قُتل زائدةُ دخل أبو الضُّرَيْس وأعْيَن جوسقاً عظيماً، وقال شبيب لأصحابه: ارفعوا السيف [عن النّاس] وادعوهم إلى البيعة. فدعوهم إلى البيعة عند الفجر فبايعوه. وكان فيمن بايعه أبو بُرْدَة بن أبي موسى، فقال شبيب لأصحابه: هذا ابن أحد الحَكَمين. فأرادوا قتله، فقال شبيب: ما ذنب هذا؟ وتركه، وسلّموا على شبيب بإمرة المؤمنين وخلّى سبيلهم، فبقوا كذلك حتّى انفرج الفجر، فلمّا ظهر الفجر أمر محمّد بن موسى مؤذّنه فأذّن، وكان لم ينهزم، فسمع شبيبٌ الأذان فقال: ما هذا؟ قالوا: محمّد بن موسى بن

طلحة لم يبرح. فقال: قد ظننتُ أنّ حُمقه وخُيَلاءه يحمله على هذا. ثمّ نزل شبيبٌ فأذّن هو وصلّى بأصحابه الصبحَ، ثمّ ركبوا فحملوا على محمّد وأصحابه، فانهزمت طائفةٌ منهم وثبتت معه طائفة، فقاتل حتّى قُتل، وأخذت الخوارج ما كان في العسكر، وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيباً، فلم يبقَ منهم أحد.

ثمّ أتَى شبيبٌ الجوسَقَ الذي فيه أَعْيَن، وأبو الضُّرَيس، فتحصّنوا منه، فأقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم. فقال أصحابه: ما دون الكوفة أحد يمنع، فنظر وإذا أصحابه قد جُرحوا، فقال لهم: ما عليكم أكثر ممّا فعلتم. فخرج بهم على نِفَّر، ثمّ على الصَّراة، فأتَى خانيجار فأقام بها. فبلغ الحجّاج مسيره نحو نِفّر، فظنّ أنّه يريد المدائن، وهي باب الكوفة، ومَنْ أخذها كان في يده من السواد أكثره[1]، فهال ذلك الحجّاجَ، فبعث عثمانَ بن قَطن أميراً على المدائن وجُوخى والأنبار، وعزل عنها عبد الله بن أبي عُصَيْفر، وكان بها الجَزْل يداوي جراحته، فلم يتعهّده[2] عثمان كما كان ابن أبي عُصَيْفر يفعل، فقال الجزل: اللهمّ زِدَ ابنَ أبي عُصَيفر جُوداً وفضلاً، وزدْ عثمان بن قَطن بخلاً وضيقاً[3].

وقد قيل في مقتل محمّد بن موسى غير هذا، والذي ذُكر من ذلك أنّ محمّد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر قتال أبي فُدَيك، وكان شجاعاً ذا بأس، فزوّجه عمر ابنته، وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان، فولّاه سِجِسْتان، فمرّ بالكوفة وفيها الحجّاج فقيل له: إن صار هذا بسجستان مع صهره، لعبد الملك، فلجأ[4] إليه أحد ممّن تطلب منعك منه. فقال: وما الحيلة؟ قال: تأتيه وتسلّم عليه وتذكر نجدته وبأسه، وأنّ شبيباً في طريقه وأنّه قد أعياك وترجو أن يريح الله منه على يده، فيكون له ذِكره وفخره.

ففعل الحجّاج ذلك، فأجابه محمّد وعدل إلى شبيب، فأرسل إليه شبيب: إنّك مخدوع، وإنّ الحجّاج قد اتّقى[5] بك وأنت جارٌ لك حقّ، فانطلِق لما أُمرتَ به، ولك الله لا أُوذيك. فأبَى إلّا محاربته، فواقفه شبيبٌ وأعاد إليه الرسولَ، فأبَى وطلب البراز، فبرز إليه البَطِين بن قَعْنَب، وسُوَيد بن سُلَيم، فأبَى إلّا شبيباً، فقالوا ذلك لشبيب، فبرز شبيبٌ إليه وقال له: أنشدك الله في دمك، فإنّ لك جواراً، فأبَى، فحمل شبيبٌ عليه فضربه

---

(١) في الأوربية: «أكثر».
(٢) في الأوربية: «يتعمّده».
(٣) في الأوربية: «وشقّاً». والخبر في: تاريخ الطبري ٦/٢٤٣ - ٢٤٨، ونهاية الأرب ٢١/١٧٦ - ١٧٨ وفيه «عصيفير» بدل «عصيفر».
(٤) في الأوربية: «فجاء».
(٥) في (آ) ونسخة مكتبة بودليان «ابقى».

بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلاً بالشاميّ، فهشمَ البيضةَ ورأسه، فسقط ميتاً، ثمّ كفّنه ودفنه، وابتاع ما غنموا من عسكره، فبعثه إلى أهله واعتذر إلى أصحابه، وقال: هو جاري، ولي أن أهب ما غنمتُ لأهل الرِّدّة[1].

ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث وقتل عثمان بن قَطَن

ثمّ إنّ الحجّاج دعا عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وأمره أن ينتخب من الناس ستّة آلاف فارس، ويسير في طلب شبيب أين كان، ففعل ذلك وسار نحوه، وكتب الحجّاج إليه وإلى أصحابه يتهدّدهم بالقتل والتنكيد[2] إن انهزموا. فوصل عبد الرحمن إلى المدائن، فأتى الجزْل يعوده من جراحته، فأوصاه الجَزْل بالاحتياط، وحذّره من شبيب وأصحابه، وأعطاه فرساً كانت له تسمّى الفُسَيْفساء[3]، وكانت لا تُجارى، ثمّ ودّعه عبدُ الرحمن وسار إلى شبيب.

فسار شبيب إلى دَقُوقاء وشَهْرَزُور، فخرج عبد الرحمن في طلبه، حتّى إذا كان بالتخوم وقف وقال: هذه أرض الموصلِ فلْيقاتلوا عنها. فكتب إليه الحجّاجُ: أمّا بعدُ فاطلب شبيباً واسلكْ في أثره أين سلك حتّى تدركه فتقتله أو تنفيه، فإنّما السلطان سلطانُ أمير المؤمنين، والجُند جُنده، والسلام.

فخرج عبد الرحمن في أثر شبيب، [فكان شبيب] يدعه حتّى يدنو منه فيبيّته، فيجده قد خندق على نفسه وحَذر، فيتركه[4] ويسير، فيتبعه عبد الرحمن. فإذا بلغ شبيباً مسيرُه أتاهم وهم سائرون، فيجدهم على تعبية، فلا يصيب منه غِرّة، ثمّ جعل إذا دنا منه عبد الرحمن يسير عشرين فرسخاً أو ما يقاربها فينزل[5] في أرض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن، فإذا دنا منه فعل مثل ذلك، حتّى عذّب ذلك الجيش وشقّ عليه وأحْفى دوابّهم، ولقوا منه كلّ بلاء، ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتّى مرّ به على خانقين وجَلولاء وسامرّا، ثمّ أقبل إلى البَتّ، وهي من قرى الموصل، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلاّ نهر حَوْلايا، وهو في راذان الأعلى من أرض جُوخى، ونزل عبد الرحمن في عواقيل من النهر، لأنّها مثل الخندق.

---

(١) نهاية الأرب ٢١/١٧٨، ١٧٩.

(٢) في (ب): «والتنكيل».

(٣) في (ب): «الفتق» و (ر): «الفيسفا».

(٤) في الأوربية: «فتركه».

(٥) في الأوربية: «ونزل».

فأرسل شبيبٌ إلى عبد الرحمن يقول: إنّ هذه الأيّام عيدٌ لنا ولكم، يعني عيد النحر، فهل لك في الموادعة حتّى تمضي هذه الأيّام؟ فأجابه إلى ذلك، وكان يحبّ المطاولة، وكتب عثمان بن قَطَن إلى الحجّاج: أمّا بعدُ، فإنّ عبد الرحمن قد حفر جُوخَى كلّها خندقاً واحداً، وكسر خراجها، وخلّى شبيباً يأكل أهلها، والسلام. فكتب إليه الحجّاج يأمره بالمسير إلى الجيش، وجعله أميرهم، وعزل عنهم عبد الرحمن، وبعث الحجّاجُ إلى المدائن مُطَرِّف بن المُغيرة بن شُعْبَة، وسار عثمان حتّى قدِم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة، فوصل عشيّة الثلاثاء يوم التَّروية، فنادى النّاسَ وهو على بغلة: أيّها الناس اخرجوا إلى عدوكم. فوثب إليه الناس وقالوا: هذا المساء قد غشينا، والناس لم يوطّنوا أنفسهم على الحرب، فبتِ الليلةَ، ثمّ اخرجْ على تعبية، وهو يقول: لأناجزنّهم فلتكوننّ الفرصة لي أو لهم. فأتاه عبد الرحمن فأنزله.

وكان شبيب قد نزل ببيعة البتّ، فأتاه أهلُها فقالوا له: أنت ترحمُ الضعفاء وأهل الذّمّة، ويكلّمك مَنْ تلي عليه، ويشكون إليك فتنظر إليهم، وإنّ هؤلاء جبابرة لا يكلّمون ولا يقبلون العُذْر، والله لئن بلغهم أنّك مقيم في بيعتنا ليقتُلُنّنا إذا ارتحلتَ عنّا، فإن رأيتَ أن تنزل جانب القرية، ولا تجعلْ علينا مقالاً فافعلْ. فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية.

وبات عثمان ليلته كلّها يحرّض أصحابه، فلمّا أصبح يوم الأربعاء خرج بالناس كلّهم، فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة شديدة، فصاح الناس وقالوا له: ننشدك الله أن تخرج بنا والريح علينا. فأقام بهم ذلك اليوم، ثمّ خرج بهم يوم الخميس وقد عبّأ النّاسَ، فجعل في الميمنة خالد بن نَهيك بن قيس، وفي الميسرة عَقيل بن شدّاد السلوليّ، ونزل هو في الرَّجّالة، وعبر شبيب النهر إليهم، وهو يومئذٍ في مائةٍ وأحد وثمانين رجلاً، فوقف هو في الميمنة، وجعل أخاه مُصَاداً في القلب، وجعل سُوَيد بن سُلَيم في الميسرة، وزحف بعضهم إلى بعض.

وقال شبيب لأصحابه: إنّي حامل على ميسرتهم ممّا يلي النهر، فإذا هزمتُها فلْيحملْ صاحب ميسرتي على ميمنتهم، ولا يبرح صاحبُ القلب حتّى يأتيه أمري.

وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا، ونزل عَقيل بن شدّاد فقاتل حتّى قُتل، وقُتل أيضاً مالك بن عبد الله الهمدانيّ عمّ عَيّاش بن عبد الله المنتوف، ودخل شبيب عسكرهم، وحمل سُويد على ميمنة عثمان، فهزمها وعليها خالد بن نَهيك، فقاتله قتالاً شديداً، وحمل شبيب من ورائه فقتله.

وتقدّم عثمان بن قَطَن وقد نزل معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب، وفيه مُصاد أخو شبيب في نحو من ستّين رجلاً، فلمّا دنا منهم عثمان شدّ عليهم فيمَن

معه، فضاربوهم حتّى فرّقوا بينهم، وحمل شبيب بالخيل من ورائهم، فما شعر عثمان ومَنْ معه إلاّ والرماح في أكتافهم تكبّهم لوجوههم، وعطف عليهم سُوَيد بن سُلَيم أيضاً في خيله، ورجع مُصاد وأصحابه فاضطّربوا ساعةً، وقاتل عثمانُ بن قَطَن أحْسن قتال، ثمّ إنّهم أحاطوا به، وضربه مُصاد أخو شبيب ضربة بالسيف استدار لها وقال: **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾**[1]، ثمّ إنّ الناس قتلوه ووقع عبد الرحمن، فأتاه ابن أبي سبرة الجُعْفيُّ، وهو على بغله، فعرفه فأركبه معه ونادى في الناس: الحقوا بدير أبي مريم؛ ثمّ انطلقا ذاهبَيْن.

ورأى واصل السَّكونيُّ فرسَ عبد الرحمن التي أعطاه الجزْلُ تجول في العسكر، فأخذها بعضُ أصحاب شبيب، فظنّ أنّه قُتل، فطلبه في القتلى فلم يجده، فسأل عنه فأُعطي خبره، فاتبعه واصل على بِرْذَوْنه ومعه غلامه على بغل، فلمّا دنا منهما نزل عبد الرحمن، وابن أبي سَبرة ليقاتلا، فلمّا رآهما واصل عرفهما وقال: إنّكما تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا[2] الآن! وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه، وقال لابن الأشعث: قد أتيتك بهذا البِرْذَون لتركبه، فركبه وسار حتّى نزل دَيْر البقّار.

وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه.

وقُتل من كِنْدة يومئذٍ مائةٌ وعشرون، وقُتل معظم العُرفاء.

وبات عبد الرحمن بدير البقّار، فأتاه فارسان فصعِدا إليه، فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلاً ثمّ نزلا، فتبيّن أن ذلك الرجل كان شبيباً، وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة، وسار عبد الرحمن حتّى أتَى دير أبي مريم، فاجتمع الناسُ إليه وقالوا له: إن سمع شبيب بمكانك أتاك فكنتَ له غنيمة. فخرج إلى الكوفة، واختفى من الحجّاج حتّى أخذ له الأمان منه[3].

ذكر ضرب الدراهم والدنانير الإسلاميّة

وفي هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم، وهو أوّل من أحدث ضربها في الإسلام، فانتفع الناسُ بذلك[4].

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣، الآية ٣٧.

(٢) في الأوربية: «ينزلا».

(٣) الطبري ٦/٢٥٠ ـ ٢٥٦، نهاية الأرب ٢١/١٧٩ ـ ١٨٢.

(٤) انظر عن ضرب الدراهم والدنانير في: الأخبار الطوال للدينوري ٣١٦، وتاريخ الطبري ٦/٢٥٦، والأوائل لأبي هلال العسكري ١٧٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١ وفيه «وفي أيام عبد الملك نُقشت الدراهم والدنانير بالعربية، وكان الذي فعل ذلك الحجّاج بن يوسف»، ونهاية الأرب ٢١/٢٢٣، ٢٢٤، والبيان المغرب =

وكان سبب ضربها أنّه كتب في صدور الكتب إلى الروم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، وذكر النبيّ ﷺ، مع التاريخ، فكتب إليه ملك الروم: إنّكم قد أحدثتم كذا وكذا، فاتركوه وإلّا أتاكم في دنانيرنا من ذِكر نبيّكم ما تكرهون. فعظُم ذلك عليه. فأحضر خالدَ بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه، فقال: حرِّمْ دنانيرهم، واضربْ للناس سكّةً فيها ذِكر الله تعالى. فضرب الدنانير والدراهم[2].

ثمّ إنّ الحجّاج ضرب الدراهم ونقش فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، فكرِه الناسُ ذلك لمكان القرآن، لأنّ الجُنُب والحائض يمسّها، ونهَى أن يضرب أحد غيره، فضرب سمير اليهوديُّ، فأخذه ليقتله، فقال له: عيار درهمي أجود من دراهمك، فلِمَ تقتلني؟ فلم يتركه، فوضع للناس سنْج الأوزان ليتركه فلم يفعل، وكان الناس لا يعرفون الوزن، إنّما يزنون بعضها ببعض، فلمّا وضع لهم سمير السّنْج كفّ بعضهم عن غَبْن بعض[3].

وأوّل من شدّد في أمر الوزن وخلّص الفضّة أبلغ من تخليص مَن قبله عمر بن هُبَيرة أيّام يزيد بن عبد الملك، وجوّد الدراهم، وخلّص العيار واشتدّ فيه. ثمّ كان خالد بن عبد الله القَسْريُّ أيّام هشام بن عبد الملك، فاشتدّ أكثر من ابن هُبَيرة. ثمّ وليَ يوسف بن عمر، فأفرط في الشدّة، فامتحن يوماً العيار، فوجد درهماً ينقص حبّة، فضرب كلّ صانع ألْف سَوْط. وكانوا مائة صانع، فضرب في حبّةٍ مائة ألف سوط[4]. وكانت الهُبَيريّةُ والخالديّة واليوسفيّة أجود نقود بني أميّة، ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها، فسُمّيت الدراهم الأولى مكروهة.

وقيل: إنّ المكروهة الدّراهم التي ضربها الحجّاج ونقش عليها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، فكرهها العلماء لأجل مسّ الجُنُب والحائض[5].

وكانت دراهم الأعجام مختلفة كباراً وصغاراً، وكانوا يضربون مثقالاً، وهو وزن عشرين قيراطاً، ومنها وزن اثني عشر قيراطاً، ومنها وزن عشرة قراريط، وهي أصناف

١/٣٤، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ٣٢٦ (حوادث سنة ٧٥ هـ.)، والنقود القديمة الإسلامية للمقريزي ٣٥، والبداية والنهاية ٩/١٤، ١٥، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ٢/٢٣٢، ٢٣٣ طبعة نهضة مصر، بالقاهرة ١٩٦١، ومقدّمة تاريخ ابن خلدون ٢٦١، والنجوم الزاهرة ١/١٧٦، وفتوح البلدان ٣٣٦، وإغاثة الأمة بكشف الغُمَّة للمقريزي ٥٣، ٥٤، وتاريخ الخلفاء ٢١٨، ومآثر الإنافة ١/١٢٩، وفوات الوفيات ٢/٤٠٣، وآثار الأول للعباسي ٢٠٨، ومختصر التاريخ ٨٩.

(١) سورة الإخلاص ١١٢، الآية ١.

(٢) إغاثة الأمة ٥٤، ٥٥.

(٣) المحاسن والمساوىء ٢/٢٣٥، إغاثة الأمة ٥٤، النجوم الزاهرة ١/١٧٧.

(٤) النجوم الزاهرة ١/١٧٧.

(٥) نهاية الأرب ٢١/٢٢٣، ٢٢٤.

المثاقيل، فلمّا ضُرب الدراهم في الإسلام أخذوا عشرين قيراطاً واثني عشر قيراطاً وعشرة قراريط، فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطاً، فضربوا على الثلث من ذلك، وهو أربعة عشر قيراطاً، فوزن الدرهم العربي أربعة عشر قيراطاً، فصار وزن كلّ عشرة دراهم سبعة مثاقيل[1].

وقيل: إنّ مصعب بن الزّبير ضرب دراهم قليلة أيّام أخيه عبد الله بن الزّبير، ثمّ كُسِرت بعد ذلك أيّام عبد الملك[2].

والأوّل أصحّ في أنّ عبد الملك أوّل مَن ضرب الدراهم والدنانير.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وفد يحيى بن الحكَم على عبد الملك[3]. وفيها ولّى عبد الملك المدينة أبان بن عثمان[4]. وفيها وُلد مروان بن محمّد بن مروان[5]. وأقام الحجّ للناس هذه السنة أبان بن عثمان، وهو أمير المدينة[6]. وكان على العراق الحجاج، وعلى خُراسان أميّة بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكُوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى[7]. وفيها غزا محمّد بن مروان الروم من ناحية مَلَطْية[8].

[الوفَيات]

وفيها مات حَبّة بن جُوَين[9] العُرَنيُّ صاحب عليّ.

(حَبّة: بالحاء المهملة، وبالباء الموحّدة، وهو منسوب إلى عُرنة، بالعين المهملة المضمومة، والراء المهملة، والنون).

---

(١) مختصر التاريخ لابن الكازروني ٨٩.
(٢) فتوح البلدان ٦٥٣، البداية والنهاية ١٥/٩.
(٣) الطبري ٢٥٦/٦.
(٤) الطبري ٢٥٦/٦، نهاية الأرب ٢٢٤/٢١.
(٥) الطبري ٢٥٦/٦، البداية والنهاية ١٥/٩، نهاية الأرب ٢٢٤/٢١.
(٦) تاريخ اليعقوبي ٢٨١/٢، المحبّر ٢٥، تاريخ الطبري ٢٥٦/٦، مروج الذهب ٣٩٩/٣، تاريخ العظيمي ١٩١، نهاية الأرب ٢٢٤/٢١، البداية والنهاية ١٥/٩.
(٧) الطبري ٢٥٦/٦، نهاية الأرب ٢٢٤/٢١.
(٨) تاريخ خليفة ٢٧٢، وفي تاريخ اليعقوبي ٢٨١/٢، «سنة ٧٦ غزا يحيى بن الحكم الصائفة بمرج الشحم بين ملطية والمصّيصة»، نهاية الأرب ١٩٧/٢١.
(٩) انظر عن (حبّة بن جوين) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٩١ رقم ١٥٥ وفيه مصادر ترجمته.

٧٧
ثم دخلت سنة سبْعٍ وسبعين

ذكر محاربة شبيب عتّاب بن ورقاء وزُهْرة بن حَوِيّة وقتلهما

وفي هذه السنة قتل شبيبٌ عتّابَ بنَ ورقاء الرّياحيّ، وزُهْرة بن حَويّة.

وسبب ذلك أنّ شبيباً لما هزم الجيش الذي كان وجّهه الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وقتل عثمان بن قَطَن، كان ذلك في حرّ شديد، وأتى شبيبٌ ماه بهراذان[1] فصيّف بها ثلاثة أشهر، وأتاه ناس كثير ممّن يطلب الدنيا، وممّن كان الحجّاج يطلبهم بمالٍ أو تبعات[2]. فلمّا ذهب الحرّ خرج شبيبٌ في نحو ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن، وعليها مُطَرّف بن المغيرة بن شُعْبَة، فجاء حتّى نزل قناطر حُذَيْفة بن اليمان، فكتب عظيم بابل مهروذ إلى الحجّاج بذلك، فلمّا قرأ الكتاب قام في الناس فقال: أيّها الناس لتقاتلُنّ عن بلادكم وعن فَيْئكم، أو لأبعثنّ إلى قومٍ هم أطوع ويصبر على اللأواء والقيظ منكم، فيقاتلون عدوّكم ويأكلون فَيْئكم.

فقام إليه الناس من كلّ جانب ومكان فقالوا: نحن نقاتلهم ونعتب[3] الأمير، فلْيندبنا[4] الأمير إليهم. وقام إليه زُهْرة بن حَوِيّة، وهو شيخ كبير لا يستتمّ قائماً حتّى يُؤخذ بيده[5]، فقال [له]: أصلح اللّهُ الأميرَ، إنّما تبعث إليهم الناسَ متقطّعين، فاستنفر الناسَ إليهم كافّة، وابعثْ إليهم رجلاً شجاعاً مجرّباً ممّنْ يرى الفِرار هضْماً وعاراً، والصبرَ مجداً وكرماً. فقال الحجّاج: فأنتَ ذلك الرجل فاخرج. فقال زُهْرة: أصلحَ اللّهُ الأميرَ، إنّما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح، ويهزّ السيف، ويثبت على [متن] الفرس، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً، وقد ضعُف بَصَري [وضعفتُ]، ولكنْ أخرجني مع الأمير في

---

(١) في تاريخ الطبري ٦/٢٥٧ «بهزاذان»، وماه بهراذان، قال ياقوت: وما أظنها إلّا ناحية الراذانين.

(٢) في الأوربية: «يتعات»، والطبري: «تباعات».

(٣) في الأوربية: «تعيّب».

(٤) في الأوربية: «فليندبنّا».

(٥) تاريخ خليفة ٢٧٥، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٠.

الناس، فأكون معه وأشير عليه برأيي. فقال الحجّاج: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله في أوّل أمرك وآخره، فقد نصحتَ. ثمّ قال: أيّها الناس سيروا بأجمعكم كافّة.

فانصرف الناس يتجهّزون ولا يدرون مَن أميرهم. وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يُخْبره أنّ شبيباً قد شارف المدائن، وأنّه يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، [في كلّها] يقتل أمراءهم ويهزم[1] جنودهم؛ ويطلب إليه أن يبعث إليه جُنداً من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد.

فلمّا أتَى الكتابُ بعث إليه عبدُ الملك سفيانَ بن الأبرد الكلبيَّ في أربعة آلاف، وحَبيبَ بن عبد الرحمن الحكميَّ في ألفَين. فبعث الحجّاجُ إلى عتّاب بن ورقاء الرياحيّ، وهو مع المهلّب، يستدعيه، وكان عتّاب قد كتب إلى الحجّاج يشكو من المهلّب، ويسأله أن يضمّه إليه، لأنّ عتّاباً طلب من المهلّب أن يرزق أهل الكوفة الذين معه من مال فارس، فأبَى عليه، وجرت بينهما منافرة، فكادتْ تؤدّي إلى الحرب، فدخل المغيرة بن المهلّب بينهما، فأصلح الأمرَ، وألزم أباه برزق أهل الكوفة، فأجابه إلى ذلك، وكتب يشكو منه.

فلمّا ورد كتابه سُرّ الحجّاج بذلك واستدعاه، ثمّ جمع الحجّاجُ أهلَ الكوفة، واستشارهم فيمن يولّيه أمرَ الجيش، فقالوا: رأيك أفضل. فقال: قد بعثتُ إلى عتّاب، وهو قادمٌ عليكم الليلة أو القابلة. فقال زُهْرة: أيّها الأمير رميتَهم بحجرهم، والله لا نرجع إليك حتّى نظفر أو نُقْتَل.

وقال له قَبيصة بن والق: إنّ الناس قد تحدّثوا أنّ جيشاً قد وصل إليك من الشام، وأنّ أهل الكوفة قد هُزموا، وهان عليهم الفِرارُ، فقلوبهم كأنّها ليست فيهم، فإن رأيتَ أن تبعث إلى أهل الشام ليأخذوا حِذْرهم، ولا يبيتوا[2] إلّا وهم محتاطون، فإنّك تحارب حُوَّلاً قُلَّباً، ظَعّاناً رَحّالاً، وقد جهّزتَ إليهم أهل الكوفة، ولستَ واثقاً بهم كلّ الثقة، وإنّ شبيباً بينا هو في أرض إذا هو في أخرى، ولا آمن أن يأتي أهلَ الشام وهم آمنون، فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق.

قال له: لله أبوك ما أحسن ما أشرتَ به! وأرسل إلى أهل الشام يحذّرهم ويأمرهم أن يأتوا على عين التمر، ففعلوا.

وقدم عَتّاب بن ورقاء تلك الليلة، فبعثه الحجّاج على ذلك الجيش، فعسكر بحمّام

---

(١) في الأوربية: بقتل أمرائهم وبهزم.

(٢) في الأوربية: «يثبتوا».

أعْيَن، وأقبل شبيبٌ حتّى انتهَى إلى كَلْواذى، فقطع فيها دجلة، (ثمّ سار حتّى نـزل مدينـة بَهُرَسير الدنيا، فصار بينه وبين مُطَرّف [جِسر] دجلة)[1]، وقـطع مطَرّفُ الجسـرَ وبعث إلى شبيب: أن ابعثْ إليّ رجالاً من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن، وأنظر فيما يدعون إليه. فبعث إليه قَعْنَب بن سُوَيْد، والمُحَلِّل[2] وغيرهما، وأخذ منه رهائن إلى أن يعودوا، فأقـاموا عنده أربعة أيّـام، ثمّ لم يتّفقوا على شيء. فلمّـا لم يتبعه مـطرّف تهيّأ للمسيـر إلى عتّاب وقـال لأصحابـه: إنّي كنتُ عازمـاً أن آتي أهلَ الشـام جريـدةً، وألقاهم على غِـرّة قبل أن يتّصلوا بـأميرٍ مثـل الحجّاج، ومصـرٍ مثل الكـوفـة، فثبّـطني عنهم مـطرّف، وقـد جـاءتني عيوني، فأخبـروني أنّ أوائلهم قد دخلوا عين التمـر، فهم الآن قد شـارفوا الكـوفة، وقـد أخبروني أنّ عَتّاباً ومَنْ معه بالبصرة، فما أقرب ما بيننا وبينه، فتيسّروا للمسير إلى عتّاب.

وخـاف مـطرّفُ بن المغيـرة أن يبلغ خبـره مـع شبيب إلى الحجّـاج، فخـرج نحـو الجبال. فأرسل شبيبٌ أخاه مَصَاداً إلى المدائن وعقد الجسر، وأقبل عتّاب إليـه حتى نزل بسوق حَكَمَة، وقد خرج معه من المقاتلة أربعون ألفاً، ومن الشباب والأتباع عشرة آلاف، فكانوا خمسين ألفاً، وكان الحجّاج قد قال لهم حين ساروا: إنّ للسائر المجتهـد الكرامـة والأثرة، وللهارِب الهوان والجفوة، والذي لا إله غيرُه لئن فعلتم في هذه المواطن كفِعلكم في المواطن الأُخـر لأولينّكم كنفاً خشناً، ولأعركنّكم بكلكل ثقيل.

فلمّا بلغ عتّابٌ سوقَ حكَمَة أتاه شبيبٌ، وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل، فحثّهم على القتال، وسار بهم، فتخلّف عنه بعضهم، ثمّ صلّى الظهـر بسابـاط، وصلّى العصر، وسار حتّى أشرف على عتّاب وعسكره، فلمّا رآهم نزل فصلّى المغـرب، وكان عتّـابٌ قد عبّأ أصحابه، فجعل في الميمنة محمّد بن عبد الرحمن بن سعيـد بن قيس، وقال: يـا ابنَ أخي إنّك شريف صابر. فقال: والله لأصبرنّ مـا ثبت معي إنسان. وقـال لقبيصة بن والق الثعلبيّ: اكفيني الميسرة. فقال: أنا شيخ كبير لا أستطيع القيام إلاّ أن أُقام؛ فجعل عليها نُعَيْم بن عُلَيْم، وبعث حنظلةَ بن الحارث اليربوعيَّ، وهو ابن عمّه وشيخ أهل بيتـه، على الرَّجّالة، وصفّهم ثلاثـة[3] صفوف: صفّ فيهم أصحـاب السيوف، وصفّ فيهم أصحـاب الرماح، وصفّ فيهم الرُّماة، ثمّ سـار في الناس يحـرّضهم على القتال ويقصّ عليهم، ثمّ قال: أين القصّاص؟ فلم يُجِبْه أحد. ثمّ قال: أين مَنْ يروي شعر عنترة؟ فلم يُجِبْه أحد. فقال: إنّا لله، كأنّي بكم قد فررتم عن عتّاب بن ورقاء، وتركتموه تسفي في استه الريح!

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) في (ر): «المجلل».

(٣) في الأوربية: «ثلاث».

ثمّ أقبل حتّى جلس في القلب ومعه زُهْرة بن حَوِيّة جالس، وعبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وأبو بكر بن محمّد بن أبي جَهْم العَدَويّ. وأقبل شبيبٌ وهو في ستّمائة وقد تخلّف عنه من أصحابه أربعمائة، فقال: لقد تخلّف عنّا مَنْ لا أُحبّ أن يُرى فينا، فجعل سُوَيدَ بن سُلَيم في مائتين في الميسرة، وجعل المُحَلَّل بن وائل في مائتين في القلب، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعِشاء الآخرة حين أضاء القمر، فناداهم: لمَنْ هذه الرايات؟ فقالوا: رايات لربيعة. قال: طالما نصرتِ الحقّ وطالما نصرتِ الباطل، والله لأجاهدنّكم محتسباً، أنا شبيب، لا حُكم إلاّ لله، للحَكَم، اثبتوا إن شئتم! ثمّ حمل عليهم ففضّهم[1]، فثبت أصحاب رايات قَبيصة بن والق، وعُبَيد بن الحُلَيْس، ونُعَيْم بن عُلَيْم فقُتلوا، وانهزمت الميسرة كلّها، ونادى الناسُ من بني ثعلبة: قُتل قَبيصة! وقال شبيب: قتلتموه، ومثله كما قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾[2]. ثمّ وقف عليه وقال: ويحك لَوْ[3] ثَبَتَّ على إسلامِك الأوّل سعدتَ! وقال لأصحابه: إنّ هذا أتى رسولَ الله ﷺ، فأسلم، ثمّ جاء يقاتلكم مع الفَسَقة[4].

ثمّ إنّ شبيباً حمل من[5] الميسرة على عتّاب، وحمل سُوَيد بن سُلَيْم على الميمنة، وعليهما محمّد بن عبد الرحمن، فقاتلهم في رجال من تميم وهمدان، فما زالوا كذلك حتّى قيل لهم قُتل عتّاب، فانفضّوا.

ولم يزل عتّاب جالساً على طنفسة في القلب، ومعه زُهْرَة بن حَوِيّة إذ غشيهم شبيب، فقال [له] عتّاب: يا زُهْرة هذا يوم كثر فيه العدد وقلّ فيه الغَناء، وَالهَفي على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس، أَلاَ صابر لعدوّه؟ أَلاَ مُواسٍ بنفسه؟ فانفضّوا عنه وتركوه، فقال [له] زُهرة: أحسنتَ يا عتّاب، فعلتَ فعلاً [لا يفعلُه] مثلك. أبشِر، فإنّي أرجو أن يكون الله، جلّ ثناؤه، قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا.

فلمّا دنا منه شبيب وثب في عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب الناس، فقيل له: إنّ عبد الرحمن بن الأشعث قد هرب وتبِعه ناس كثير. فقال: ما رأيتُ ذلك الفتى ببالي ما صنع. ثمّ قاتلهم ساعة، فرآه رجل من أصحاب شبيب يقال له عامر بن عمر التغلبيُّ، فحمل عليه فطعنه، ووطئتِ الخيل زُهْرَة بن حَوِيّة، فأخذ يذبّ بسيفه لا يستطيع أن يقوم،

---

(١) في الأوربية: «فغضّتهم».
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٥.
(٣) في الأوربية: «أو».
(٤) في (ب): «الكافرين».
(٥) في (ب): «على».

فجاءه الفضلُ بن عامر الشيبانيُّ فقتله، فانتهَى إليه شبيبٌ، فرآه صريعاً فعرفه فقال: هذا زُهرة بن حَوِيّة، أمَا والله لئن كنتَ قُتلتَ على ضلالة لرُبَّ يومٍ من أيّام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك، وعظم فيه غَناؤك[1]! ولربَّ خيل للمشركين هزمتَها، وقرية من قراهم جَمٍّ[2] أهلها قد افتتحتَها! ثمّ كان في علم الله أنّك تُقْتَل ناصراً[3] للظالمين. وتوجّع له. فقال له رجلٌ من أصحابه: إنّك لتتوجّع لرجل كافر. فقال: إنّك لستَ بأعرف بضلالتهم منّي، ولكنّي أعرف من قديمِ أمرِهم ما لا تعرف، ما لو ثبتوا[4] عليه لكانوا إخواننا.

فاستمسك شبيب من أهل العسكر والناس، فقال: ارفعوا السيف، ودعاهم إلى البيعة، فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم، وحوى ما في العسكر، وبعث إلى أخيه فأتاه من المدائن. وأقام شبيب بعد الوقعة[5] ببيت قرّة يومَين، ثمّ سار نحو الكوفة، فنزل بسورا وقتل عاملها.

وكان سفيان بن الأبرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة، فشدّوا ظهر الحجّاج، واستغنى به وبعسكره عن أهل الكوفة، فقام على المنبر فقال: يا أهل الكوفة لا أعزّ الله مَنْ أراد بكم العزّ، ولا نصر مَن أراد بكم النصر، اخرجوا عنّا، فلا تشهدوا معنا قتال عدوّنا، انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى، ولا يقاتل معنا إلاّ مَنْ لم يشهد قتال عتّاب[6].

ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضاً وانهزامه عنها

ثمّ سار شبيب من سورا، فنزل حمّام أَعْيَن، فدعا الحجّاجُ الحارثَ بن معاوية الثقفيَّ، فوجّهه في ناس من الشُّرَط لم يشهدوا يوم عَتّاب وغيرهم، فخرج في نحو ألف، فنزل زُرارة، فبلغ ذلك شبيباً، فعجّل إلى الحارث بن معاوية، فلمّا انتهَى إليه حمل عليه فقتله وانهزم أصحابُه، وجاء المنهزمون فدخلوا الكوفة، وجاء شبيب فعسكر بناحية الكوفة وأقام ثلاثاً، فلم يكن في اليوم الأوّل غير قتل الحارث.

فلمّا كان اليوم الثاني أخرج الحجّاج مواليه، فأخذوا بأفواه السكك، وجاء شبيب فنزل السَّبْخة وابتنى بها مسجداً، فلمّا كان اليوم الثالث أخرج الحجّاج أبا الورد مولاه،

---

(١) في الأوربية: «عناؤك».
(٢) في الأوربية: «حمّ»، وفي (ب): «حمر».
(٣) في الأوربية: «ناصرٌ».
(٤) في الأوربية: «تثبّتوا».
(٥) في الأوربية: «وقعة».
(٦) الطبري ٦/٢٥٧ ـ ٢٦٧، نهاية الأرب ٢١/١٨٣ ـ ١٨٨، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٣١.

عليه تجفاف، ومعه غلمان له وقالوا: هذا الحجّاج، فحمل عليه شبيبٌ فقتله، وقال: إن كان هذا الحجّاج فقد أرَحْتكم منه.

ثمّ أخرج الحجّاج غلامه طهمان في مثل تلك العدّة والحالة، فقتله شبيب وقال: إن كان هذا الحجّاج فقد أرحتُكم منه.

ثمّ إنّ الحجّاج خرج ارتفاع النهار من القصر، فطلب بغلاً يركبه إلى السَّبْخة، فأُتي ببغل، فركبه ومعه أهل الشام، فخرج، فلمّا رأى الحجّاج شبيباً وأصحابه نزل، وكان شبيب في ستمائة فارس، فأقبل نحو الحجّاج، وجعل الحجّاجُ سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنف على أفواه السكك في جماعة الناس، ودعا الحجّاجُ بكرسيّ فقعد عليه ثمّ نادى: [يا] أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة [والصّبر] واليقين، فلا يغلبنّ باطل هؤلاء الأرجاس حقّكم، غُضّوا الأبصار، واجثوا على الرُّكب، واستقبلوهم(1) بأطراف الأسنّة. ففعلوا وأشرعوا الرماح، وكأنّهم حَرّة سوداء، وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس، كتيبة معه، وكتيبة مع سُوَيْد بن سُلَيم، وكتيبة مع المحلّل بن وائل، وقال لسُوَيد: أحملْ عليهم في خيلك، فحمل عليهم، فثبتوا له ووثبوا في وجهه بأطراف الرماح، فطعنوه حتّى انصرف هو وأصحابه.

وصاح الحجّاج: هكذا فافعلوا، وأمر بكرسيّه فقُدّم، وأمر شبيب المحلّل فحمل عليهم، ففعلوا به كذلك، فناداهم الحجّاج: هكذا فافعلوا، وأمر بكرسيّه فقُدّم.

ثمّ إنّ شبيباً حمل عليهم في كتيبته، فثبتوا له وصنعوا به كذلك، فقاتلهم طويلاً، ثمّ إنّ أهل الشام طاعنوه حتّى ألحقوه بأصحابه، فلمّا رأى صبرهم نادى: يا سُويد احملْ عليهم بأصحابك على أهل هذه السكّة، لعلّك تُزيل أهلها، وتأتي الحجّاج من ورائه، ونحمل نحن عليه من أمامه. فحمل سُوَيد، فرُمي من فوق البيوت وأفواه السكك فرجع. وكان الحجّاج قد جعل عُرْوة بن المغيرة بن شُعْبَة في ثلاثمائة رجل من أهل الشام رِدْءاً له، لئلّا يُؤتَوا من خلفهم، فجمع شبيبٌ أصحابه ليحمل بهم، فقال الحجّاج: اصبروا لهذه الشّدّة الواحدة ثمّ هو الفتح، فجثَوا على الرُّكب.

وحمل عليهم شبيبٌ بجميع أصحابه، فوثبوا في وجهه، وما زالوا يطاعنونه ويضاربونه قُدماً ويدفعونه وأصحابه حتّى أجازوهم مكانهم، وأمر شبيبٌ أصحابه بالنزول، فنزل نصفُهم، وجاء الحجّاج حتّى انتهى إلى مسجد شبيب ثمّ قال: يا أهل الشام هذا أوّل الفتح، وصعِد المسجد ومعه جماعة معهم النَّبل ليرموهم إن دنوا منه، فاقتتلوا عامّة النهار أشدّ قتالٍ رآه الناس حتّى أقرّ كلّ واحد من الفريقين لصاحبه.

---

(1) في الأوربية: «واستقتلوهم».

ثمّ إنّ خالد بن عتّاب قال للحجّاج: ائذنْ لي في قتالهم فإنّي موتور، فأذِن له، فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة، وقصد عسكرهم من ورائهم، فقتل مَصاداً أخا شبيب، وقتل امرأته غزالة، وحرّق في عسكره. وأتَى الخبرُ الحجّاجَ وشبيباً، فكبّر الحجّاج وأصحابه، وأمّا شبيب فركب هو وأصحابه، وقال الحجّاج لأهل الشام: احملوا عليهم فإنّهم قد أتاهم ما أرعبهم. فشدّوا عليهم فهزموهم، وتخلّف شبيبٌ في حامية الناس. فبعث الحجّاج إلى خيله: أن دَعُوه، فتركوه ورجعوا، ودخل الحجّاج الكوفة فصعد المنبر ثمّ قال: والله ما قوتل شبيب قبلها، ولّى والله هارباً وترك امرأته يُكسر في استها القصب. ثمّ دعا حبيبَ بن عبد الرحمن الحكميَّ فبعثه في ثلاثة آلاف فارس من أهل الشام في أثر شبيب، وقال له: احذرْ بياته وحيث لقيتَه فانزل له[1]، فإنّ الله تعالى قد فلّ حدّه وقصم نابه.

فخرج في أثره حتّى نزل الأنبار، وكان الحجّاج قد نادى عند انهزامهم: مَنْ جاءنا منكم[2] فهو آمن. فتفرّق عن شبيب ناسٌ كثير من أصحابه. فلمّا نزل حبيب الأنبار أتاهم شبيب، فلمّا دنا منهم نزل فصلّى المغرب، وكان حبيب قد جعل أصحابه أرباعاً، وقال لكلّ ربع منهم: ليمنع كلّ ربع منكم جانبه، فإن قاتل هذا الربع فلا يُعِنْهم الربع الآخر، فإنّ الخوارج قريب[3] منكم، فوطِّنوا أنفسكم على أنّكم مبيَّتون ومقاتَلون.

فأتاهم شبيبٌ وهم على تعبية، فحمل على ربع فقاتلهم طويلاً، فما زالت قدم إنسان عن موضعها، ثمّ تركهم وأقبل إلى ربع آخر فكانوا كذلك، ثمّ أتَى ربعاً آخر فكانوا كذلك، ثمّ الربع الرابع، فما برِح يقاتلهم حتّى ذهب ثلاثة أرباع الليل، ثمّ نازلهم راجلاً، فسقطت منهم الأيدي، وكثرت القتلى، وفُقئت الأعين، وقُتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلاً، ومن أهل الشام نحو مائة، واستولى التعب والإعياء على الطائفتَين، (حتّى إنّ الرجل ليضرب بسيفه، فلا يصنع شيئاً)[4]، وحتّى إنّ الرجل ليقاتل جالساً، فما يستطيع أن يقوم من التعب.

فلمّا يئس شبيبٌ منهم تركهم وانصرف عنهم. ثمّ قطع دجلةَ وأخذ في أرض جُوخي، ثمّ قطع دَجلةَ مرّة أخرى عند واسط، ثمّ أخذ نحو الأهواز، ثمّ إلى فارس، ثمّ إلى كَرمان ليستريح هو ومَنْ معه.

---

(١) في الأوربية: «فأنزله».

(٢) في الأوربية: «من جاء بأمنكم».

(٣) في الأوربية: «قريباً».

(٤) ما بين القوسين من (ب).

وقيل في هزيمته غير ذلك، وهو أنّ الحجّاج كان قد بعث إلى شبيب أميراً فقتله، ثمّ أميراً فقتله، أحدهما أَعْيَن صاحب حمّام أَعْيَن، ثمّ جاء شبيب حتّى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة، وكانت نذرت أن تصلّي في جامع الكوفة ركعَتَين تقرأ فيهما[1] البقرة وآل عمران، واتّخذ في عسكره أخصاصاً. فجمع الحجّاجُ ليلاً بعد أن لقي من شبيب الناسُ ما لقوا، فاستشارهم في أمر شبيب، فأطرقوا، وفصل قُتَيبة من الصفّ فقال: أتأذن لي في الكلام؟ قال: نعم. قال: إنّ الأمير ما راقب الله ولا أمير المؤمنين ولا نصح الرعيّة. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّك تبعث الرجل الشريف، وتبعث معه رَعاعاً، فينهزمون ويستحيي أن ينهزم فيُقْتَل. قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تخرج إليه فتحاكمه. قال: فانظر لي معسكراً.

فخرج الناس يلعنون عَنْبسة بن سعيد لأنّه هو الذي كلّم الحجّاج فيه حتّى جعله من صحابته، وصلّى الحجّاج من الغد الصبحَ، واجتمع الناسُ، وأقبل قُتَيبة وقد رأى معسكراً حسناً، فدخل إلى الحجّاج، ثمّ خرج ومعه لواء منشور، وخرج الحجّاج يتبعه، حتّى خرج إلى السَّبخة وبها شبيب، وذلك يوم الأربعاء، فتواقفوا، وقيل للحجّاج: لا تعرّفه مكانك، فأخفى مكانه، وشبَّه له أبا الورد مولاه، فنظر إليه شبيب، فحمل عليه فضربه بعمود فقتله، وحمل شبيب على خالد بن عتّاب ومَنْ معه وهو على ميسرة الحجّاج، فبلغ بهم الرّحبة، وحمل على مَطَر بن ناجية وهو على ميمنة الحجّاج فكشفه، فنزل عند ذلك الحجّاج، ونزل أصحابه، وجلس على عباءة ومعه عَنْبسة بن سعيد، فإنّهم على ذلك إذ تناول مَصْقَلَةُ بن مُهَلْهِل الضَّبّيُّ لجامَ شبيب وقال: ما تقول في صالح بن مسرّح، وبِمَ تشهد عليه؟ قال: أعلى هذه الحال؟ قال: نعم. قال: فبريء مِن صالح. فقال له مَصْقَلة: بريء الله منك، وفارقه إلّا أربعين فارساً. فقال الحجّاج: قد اختلفوا، وأرسل إلى خالد بن عتّاب، فأتى بهم في عسكرهم فقاتلهم فقُتلت غزالة، ومرّ[2] برأسها إلى الحجّاج مع فارس، فعرفه شبيب، فأمر رجلاً فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس، فأمر به فغُسل ثمّ دفنه.

ومضى القوم على حاميتهم، ورجع خالد فأخبر الحجّاج بانصرافهم، فأمره باتباعهم، فاتبعهم يحمل عليهم، فرجع إليه ثمانية نفر، فقاتلوه حتّى بلغوا به الرّحبة، وأُتي شبيب بخوط بن عُمَير السدوسيّ فقال: يا خوط لا حكم إلّا لله. فقال: (إنّ خوطاً من أصحابكم، ولكنّه كان يخاف، فأطلقه؛ وأُتي بعُمَير بن القَعْقاع فقال: يا عُمَير لا

(١) في الأوربية: «فيها».

(٢) في (ب): «وأمر».

حكمَ إلاّ لله. فقال: في)[1] سبيل الله شبابي، فردّد عليه شبيب: لا حكم إلاّ لله، فلم يفقه ما يريد، فقتله.

وقُتل مَصاد أخو شبيب، وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتبعوا خالداً، فأبطأوا ولم يَقْدَم أصحابُ الحجّاج على شبيب هيبةً لـه، وأتى إلى شبيب أصحابه الثمانيـة، فساروا واتّبعهم خالد وقد دخلوا إلى دَيْرٍ بناحية المدائن، فحصرهم فيه، فخرجوا عليه فهزموه نحو فرسخَين، فألقوا أنفسهم في دجلة منهزمين، وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده، فقال شبيب: قاتله الله هذا أسد الناس! فقيل: هو خالد بن عتّاب. فقال: مُعْـرَقٌ[2] [له] في الشجاعة، ولو عرفتُه لأقحمتُ خلفه ولو دخل النار. ثمّ سار إلى كَرمان، على ما تقدّم ذكره، وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يستمدّه، ويعرّفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب، فسيّر سُفيان بن الأبرد في جيش إليه[3].

ذكر مهلك شبيب

وفي هذه السنة هلك شبيب.

وكان سبب ذلك أنّ الحجّاج أنفق في أصحاب سفيان بن الأبرد مالاً عظيماً بعد أن عاد شبيب عن محاربتهم، وقصد كَرمان بشهرين، وأمر سفيانَ وأصحابَه بقصد شبيب، فسار نحوه، وكتب الحجّاجُ إلى الحكم بن أيّوب زوج ابنته، وهو عامله على البصرة، يأمره أن يرسل أربعة آلاف فارس من أهل البصرة إلى سفيان، فسيّرهم مع زياد بن عَمرو العَتَكيّ، فلم يصل إلى سفيان حتّى التقى سفيان مع شبيب، وكان شبيب قد أقام بكرمان، فاستراح هو وأصحابه، ثمّ أقبل راجعاً، فالتقى مع سفيان بجسر دُجَيْل الأهواز، فعبر شبيبٌ الجسرَ إلى سفيان، فوجد سفيانَ قد نزل في الرجال، (وجعل مهاصر بن سيف على الخيل. وأقبل شبيبٌ في ثلاثة كراديس فاقتتلوا أشدّ قتال، ورجع شبيب إلى المكان الذي كان فيه، ثمّ حمل عليهم هو وأصحابه أكثر من ثلاثين حملة، ولا يزول أهل الشام، وقال لهم سفيان: لا تتفرّقوا، ولْيزحف الرجال)[4] إليهم زحفاً. فما زالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتّى اضطّروهم إلى الجسر. فلمّا انتهى شبيبٌ إلى الجسر نزل، ونزل معه

---

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) في الأوربية: «يُعرف».
(٣) الطبري ٦/٢٦٧ - ٢٧٦، نهاية الأرب ٢١/١٨٨ - ١٩٠، الفتوح لابن أعثم ٧/٨٥ - ٩٢، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣١ - ٣٣٥.
(٤) ما بين القوسين من (ب).

نحو مائة، فقاتلوهم حتّى المساء، وأوقعوا بأهل الشام من الضرب والطعن ما لم يروا مثله.

فلمّا رأى سفيانُ عجزه عنهم وخاف أن يُنصروا عليه أمر الرّماة أن يرموهم، وذلك عند المساء، وكانوا ناحيةً، فتقدّموا ورموا شبيباً ساعة، فحمل هو وأصحابه على الرّماة، فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، ثمّ عطف على سفيان ومَنْ معه فقاتلهم حتّى اختلط الظلام، ثمّ انصرف، فقال سفيان لأصحابه: لا تتبعوهم.

فلمّا انتهَى شبيبٌ إلى الجسر قال لأصحابه: اعبروا، وإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله. فعبروا أمامه وتخلّف في آخرهم، وجاء ليعبر وهو على حصان، وكانت بين يديه فرس أنثى، فنزا فرسه عليها وهو على الجسر، فاضطّربت الحِجْر تحته، ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء، فلمّا سقط قال: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾[1]، وانغمس في الماء، ثمّ ارتفع وقال: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾[2]، وغرق.

وقيل في قتله غير ذلك، وهو أنّه كان مع جماعة من عشيرته، ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة، وكان قد قتل من عشائرهم رجالاً، فكان قد أوجع قلوبهم، وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بني تيم بن شيبان، فلمّا قَتَلَ شبيبٌ من بنيَ تيم أغار هو على بني مُرّة بن هَمّام رهط شبيب فقتل منهم، فقال له شبيب: ما حملك على قتلهم بغير أمري؟ فقال له: قتلتَ كفّار قومي، فقتلتُ كفّار قومك، ومن ديننا قَتْلُ من كان على غير رأينا، وما أصبتَ من رهطي أكثر ممّا أصبتُ من رهطك، وما يحلّ لك يا أمير المؤمنين أن تجد على قتل الكافرين. قال: لا أجد.

وكان معه أيضاً رجال كثير قد قتل من عشائرهم، فلمّا تخلّف في آخر الناس قال بعضهم لبعض: هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا؟ فقطعوا الجسر، فمالت به السفن، فنفر به الفرس، فوقع في الماء فغرق. والأوّل أصحّ وأشهر.

وكان أهل الشام يريدون الانصراف، فأتاهم صاحب الجسر، فقال لسفيان: إنّ رجلاً منهم وقع في الماء، فنادوا بينهم: غرق أمير المؤمنين! ثمّ إنّهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد، فكبّر سفيان وكبّر[3] أصحابه، وأقبل حتّى انتهَى إلى الجسر، وبعث إلى العسكر وإذا ليس فيه أحد، وإذا هو أكثر العساكر خيراً، ثمّ

(١) سورة الأنفال ٨، الآية ٤٢.

(٢) سورة الأنعام ٦، الآية ٩٦.

(٣) في الأوربية: «وكبّروا».

استخرجوا شبيباً، فشقّوا جوفه وأخرجوا قلبه، وكان صلباً كأنّه صخرة، فكان يُضرب به الصخرة فيثب[1] عنها قامةَ الإنسان.

قيل: وكان شبيب يُنعى إلى أمّه، فيقال[2]: قُتل: فلا تقبل ذلك، فلمّا قيل لها غرق صدّقت ذلك وقالت: إنّي رأيتُ حين ولدتُه أنّه خرج منّي شهاب نار، فعلمتُ أنّه لا يُطْفئه إلّا الماء. وكانت أمّه جارية روميّة قد اشتراها أبوه، فأولدها شبيباً منه سنة خمس وعشرين يوم النحر، وقالت: إنّي رأيتُ فيما يرى النائمُ أنّه خرج من قُبُلي[3] شهاب نار، فذهب ساطعاً في السماء، وبلغ الآفاق كلّها، فبينما هو كذلك إذ وقع في ماء كثير فخبا[4]، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تُهْريقون فيه الدماء، وقد أوّلت ذلك أنّ ولدي يكون صاحب دماء، وأنّ أمره سيعلو فيعظم سريعاً. وكان أبوه يختلف به إلى اللَّصَف أرض قومه، وهو من بني شيبان[5].

ذكر خروج مطرّف بن المُغيرة بن شُعْبَة

قيل: إنّ بني المغيرة بن شُعبة كانوا صُلحاء أشرافاً بأنفسهم، مع شرف أبيهم ومنزلتهم من قومهم، فلمّا قدِم الحجّاج ورآهم علم أنّهم رجال قومهم، فاستعمل عُرْوَةَ على الكوفة، ومطرِّفاً على المدائن، وحمزة على هَمَذان، وكانوا في أعمالهم أحسن الناس سيرةً، وأشدّهم على المريب، وكان مطرّف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها، كما سبق، فكتب إلى الحجّاج يستمدّه، فأمدّه بسَبرة بن عبد الرحمن بن مِخْنف وغيره، وأقبل شبيبُ حتّى نزل بَهُرَسِير، وكان مُطرّف بالمدينة العتيقة، وهي التي فيها إيوان كسرى، فقطع مطرّفُ الجسرَ، وبعثَ إلى شبيب يطلب إليه أن يرسل بعض أصحابه لينظر فيما يدعون، فبعث إليه عدّةً منهم، فسألهم مطرِّفُ عمّا يدعون إليه، فقالوا: ندعو إلى كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ، وإنّ الذي نقمنا[6] من قومنا الاستئثار بالفَيْء وتعطيل الحدود (والتسلّط بالجبريّة)[7].

فقال لهم مطرِّف: ما دعوتم إلّا إلى حقّ، وما نقمتم إلّا جَوراً ظاهراً، أنا لكم متابع

---

(١) في الأوربية: «فشبّت».

(٢) في الأوربية: «فقال».

(٣) في الأوربية: «قلبي».

(٤) في الأوربية: «فخبأ».

(٥) الطبري ٦/٢٧٩ - ٢٨٣، نهاية الأرب ٢١/١٩٠ - ١٩٢، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٣ - ٣٣٥، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٥، والفتوح لابن أعثم ٧/٩٢، ومروج الذهب ٣/١٤٧.

(٦) في (ب): «بعينا».

(٧) ما بين القوسين من (ب).

فتابعوني[1] على ما أدعوكم إليه، ليجتمع أمري وأمركم. فقالوا: اذكره، فإنْ يكن حقّاً نُجِبْكَ إليه. قال: أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظَّلَمة على إحداثهم، وندعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين، يؤمِّرون مَنْ يرتضون على مثل هذه الحال الّتي تركهم عليها عمر بن الخطّاب، فإنّ العرب إذا علمتْ أنّ ما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا، وكثُر تبعكم وأعوانكم. فقالوا: هذا ما لا نجيبك إليه، وقاموا من عنده وتردّدوا بينهم أربعة أيّام، فلم تجتمع كلمتهم، فساروا من عنده. وأحضر مطرِّفٌ نُصَحاءه وثقاته، فذكر لهم ظلم الحجّاج وعبد الملك، وأنّه ما زال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم، وأنّه يرى ذلك ديناً لو وجد عليه أعواناً، وذكر لهم ما جرى بينه وبين أصحاب شبيب، وأنّهم لو تابعوه على رأيه لخلع[2] عبدَ الملك والحجّاجَ، واستشارهم فيما يفعل.

فقالوا له: اخفِ هذا الكلام ولا تُظهِرْه لأحد. فقال له يزيد بن أبي زياد، مولى أبيه المُغيرة بن شُعْبَة: والله لا يخفى على الحجّاج ممّا كان بينك وبينهم كلمة واحدة، ولَيُزادنّ على كلّ كلمة عشر أمثالها، ولو كنتَ في السحاب لالتمسك الحجّاج حتّى يُهْلكك، فالنجاءَ النجاءَ!

فوافقه أصحابُه على ذلك، فسار عن المدائن نحو الجبال، فلقيه قَبيصةُ بن عبد الرحمن الخَثْعَميّ بدير يزدجِرد، فأحسن إليه وأعطاه نفقةً وكسوةً، فصحِبه ثمّ عاد عنه، ثمّ ذكر مطرِّفٌ لأصحابه بالدّسكرة ما عزم عليه، ودعاهم إليه، وكان رأيه خلع عبد الملك والحجّاج، والدّعاء إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين، يرتضون لأنفسهم مَنْ أحبّوه. فبايعه البعضُ على ذلك، ورجع عنه البعض.

وكان ممّن رجع عنه سَبرة بن عبد الرحمن بن مِخْنف، فجاء إلى الحجّاج وقاتل شبيباً مع أهل الشام.

وسار مُطرِّفٌ نحو حُلْوان، وكان بها سُوَيد بن عبد الرحمن السعديُّ من قِبَل الحجّاج، فأراد هو والأكراد منعه ليعذر عند الحجّاج، فجازه مطرِّف بمواطأة منه، وأوقع مطرّف بالأكراد، فقتل منهم وسار، فلمّا دنا من هَمَذان وبها أخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار، وقصد ماه دينار، وأرسل إلى أخيه حمزة يستمدّه بالمال والسلاح، فأرسل إليه سرّاً ما طلب. وسار مطرّفٌ حتّى بلغ قُمَّ وقاشان، وبعث عُمّاله على تلك النواحي،

---

(١) في الأوربية: «فبايعوني».

(٢) في الأوربية: «يخلع».

وأتاه الناس، وكـان ممّن أتاه: سُـوَيْد بن سِـرْحان الثّقفيُّ، وبُكَيـر بن هارون النَّخَعيُّ، من الريّ في نحو مائة رجل.

وكتب البراء بن قَبيصة، وهو عامل الحجّاج على أصبهـان، إليه يعـرّفه حـالَ مطرّف ويستمدّه، فأمدّه بالـرجال بعـد الرجـال على دوابّ البريـد، وكتب الحجّاج إلى عـديّ بن زياد عامل الريّ يأمره بقصد مطرّف، وأن يجتمع هو والبراء على محاربته، فسار عديّ من الريّ، فاجتمع هو والبراء بن قبيصة، وكان عديّ هو الأمير، فاجتمعوا في نحـو ستّة آلاف مقاتل، وكـان حمزة بن المغيـرة قد أرسـل إلى الحجّاج يعتـذر، فأظهـر قبول عـذره وأراد عزله، وخاف أن يمتنع عليـه، فكتب إلى قيس بن سعد العِجْليّ، وهـو على شُرطـة حمزة بهمذان، بعهده على همذان، ويأمره أن يقبض على حمزة بن المغيرة.

وكـان بهمذان من عِجْـل وربيعة جمـعٌ كثيـر، فسـار قيس بن سعـد إلى حمـزة في جماعة من عشيرته، فأقرأه العهد بولايـة هَمَذان، وكتـابَ الحجّاج بـالقبض عليه، وقـال: سمعاً وطاعـة. فقبض قيسٌ على حمزة وجعله في السجن، وتـولّى قيسٌ هَمَذان، وتفـرّغ قلبُ الحجّاج من هذه الناحية لقتال مطرّف، وكـان يخاف مكـانَ حمزة بهمـذان لئلاّ يمـدّ أخاه بالمال والسلاح، ولعلّه ينجده بالرجال.

فلمّـا قبض عليه سكن قلبـه وتفرّغ بـالـه، ولمـا اجتمـع عـديّ بن زيـاد الإيـاديُّ، والبراء بن قَبيصة سارا[1] نحو مطرّف فخندقا[2] عليه، فلمّا دنَوا منه اصطفّوا للحرب واقتتلوا قتـالاً شديـداً، فانهـزم أصحابُ مـطرّف، وقُتل مـطرّفٌ وجماعـة كثيرة من أصحـابه، قتله عُمَير بن هُبَيرة الفزاريُّ، وحمل رأسه فتقدّم بـذلك عنـد بني أُميّة، وقـاتل ابنُ هُبَيـرة ذلك اليوم، وأبلى بلاءً حسناً.

وقُتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة، وكان صاحب راية مطرِّف، وقُتل من أصحابه عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزديُّ، وكان ناسكاً صالحاً.

وبعث عديُّ بن زياد إلى الحجّاج أهلَ البلاء، فأكرمهم وأحسن إليهم، وآمن عديٌّ بُكَيـرَ بن هارون، وسُـوَيْدَ بن سـرحان، وغيـرهما، وطُلب منـه الأمان للحجّـاج بن حارثـة الخَثْعَميّ، فبعث إليهم كتاب الحجّاج يأمره بإرساله إليه إن كان حيّاً، فـاختفى ابنُ حارثـة حتّى عُزل عديّ، ثمّ ظهر في إمارة خالد بن عتّاب بن ورقاء.

وكان الحجّاج يقول: إنّ مطرِّفاً ليس بولد للمغيرة بن شُعْبَة، إنّما هـو ولد مَصْقلة بن

---

(١) في الأوربية: «ساروا».

(٢) في الأوربية: «فخندق».

سَبرة الشيبانيّ، وكان مَصْقلة والمغيرة يدّعيانه، فأُلحق بالمغيرة وجُلد مَصْقلة الحدّ، فلمّا أظهر رأي الخوارج قال الحجّاج ذلك، لأنّ كثيراً من ربيعة كانوا من خوارج، ولم يكن منهم أحد من قيس عَيْلان[1].

ذكر الاختلاف بين الأزارقة

قد ذكرنا مسير المهلّب إلى الأزارقة ومحاربتهم إلى أن فارقه عتّاب بن ورقاء الرياحيُّ ورجع إلى الحجّاج، وأقام المهلّب بعد مسير عتّاب عنه يقاتل الخوارج، فقاتلهم على سابور نحو سنة قتالاً شديداً. ثمّ إنّه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم أشدّ قتال، وكانت كَرمان بيد الخوارج، وفارس بيد المهلّب. فضاق على الخوارج مكانُهم لا يأتيهم من فارس مادّة، فخرجوا حتّى أتوا كرمان، وتبِعهم المهلّبُ بالعساكر حتّى نزل بجِيرَفْت، وهي مدينة كرمان، فقاتلهم قتالاً شديداً. فلمّا صارت فارس كلّها في يد المهلّب أرسل الحجّاج العمّال عليها، فكتب إليه عبد الملك يأمره أن يترك بيد المهلّب فَسَا، ودرابجَرْد[2]، وكورة إصْطَخْر، تكون له معونةً على الحرب، فتركها له، وبعث الحجّاجُ إلى المهلّب البَراءَ بن قَبيصة ليحثّه على قتال الخوارج ويأمره بالجدّ، وأنّه لا عُذر له عنده.

فخرج المهلّب بالعساكر، فقاتل الخوارج من صلاة الغداة إلى الظهر، ثمّ انصرفوا والبراءُ على مكان عالٍ يراهم، فجاء إلى المهلّب فقال: ما رأيتُ كتيبة ولا فرساناً أصبر ولا أشدّ من الفرسان الذين يقاتلونك. ثمّ إنّ المهلّب رجع العصر، فقاتلهم كقتالهم أوّل مرّة، لا يصدّ كتيبة عن كتيبة، وخرجت كتيبةٌ من كتائب الخوارج لكتيبة من أصحاب المهلّب، فاشتدّ بينهمُ القتالُ إلى أن حجز بينهم الليل، فقالت إحداهما للأخرى: مَنْ أنتم؟ فقال هؤلاء: نحن من بني تميم. وقال هؤلاء: نحن من بني تميم. وانصرفوا عند المساء. فقال المهلّب للبراء بن قَبيصة: كيف رأيتَ قوماً ما يعينك عليهم إلاّ الله جلّ ثناؤه؟ فأحسن المهلّبُ إلى البراءِ، وأمر له بعشرة آلاف درهم. وانصرف البراء إلى الحجّاج، وعرّفه عُذر المهلّب.

ثمّ إنّ المهلّب قاتلهم ثمانية عشر شهراً، لا يقدر منهم على شيء. ثمّ إنّ عاملاً لقَطَريّ على ناحية كَرْمان يُدعى المُقَعْطَر الضبّيَّ قتل رجلاً منهم، فوثبت الخوارج إلى قَطَريّ، وطلبوا منه أن يقيدهم من المقعطر، فلم يفعل وقال: إنّه تأوّل فأخطأ التأويل، ما

---

(١) نهاية الأرب ٢١/١٩٣ - ١٩٦.

(٢) في طبعة صادر ٤/٤٣٧: «دار بجرد».

أرى أن تقتلوه، وهو من ذوي السابقة فيكم، فوقع بينهمُ الاختلاف[1].

وقيل: كان سبب اختلافهم أنّ رجلاً كان في عسكرهم يعمل النصولَ المسمومة، فيرمي بها أصحاب المهلّب، فشكا أصحابُه منها، فقال: أكفيكُموه، فوجّه رجلاً من أصحابه ومعه كتاب، وأمره أن يلقيه في عسكر قَطَريّ ولا يراه أحد، ففعل ذلك، ووقع الكتاب إلى قَطَريّ، فرأى فيه: أمّا بعد فإنّ نصالك وصلت، وقد أنفذْتُ إليك ألف درهم. فأحضر الصانعَ فسأله فجحد، فقتله قطريّ، فأنكر عليه عبد ربّه الكبير قتْله واختلفوا.

ثمّ وضع المهلّب رجلاً نصرانيّاً، وأمره أن يقصد قَطَريّاً ويسجد له، ففعل ذلك، فقال له الخوارج: إنّ هذا قد اتّخذك إلهاً. ووثب بعضهم إلى النصرانيّ فقتله، فزاد اختلافهم، وفارق بعضهم قَطَريّاً، ثمّ ولّوا عبد ربّه الكبير وخلعوا قَطَريّاً، وبقي مع قَطَريّ منهم نحو من رُبْعهم أو خمسهم، واقتتلوا فيما بينهم نحواً من شهر.

وكتب المهلّب إلى الحجّاج بذلك. فكتب إليه الحجّاج يأمره أن يقاتلهم على حال اختلافهم قبل أن يجتمعوا، فكتب إليه المهلّب: إنّي لستُ أرى أن أقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضاً، فإن تمّوا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلّا وقد رقّق بعضهم بعضاً، فأناهضهم حينئذ، وهم[2] أهون ما كانوا وأضعفه شوكةً إن شاء الله تعالى، والسلام. فسكت عنه الحجّاج، وتركهم المهلّب يقتتلون شهراً لا يحرّكهم، ثمّ إنّ قَطَريّاً خرج بمَنْ اتّبعه نحو طَبَرِسْتان، وبايع الباقون عبد ربّه الكبير[3].

ذكر مقتل عبد ربّه الكبير

لما سار قَطَريّ إلى طَبَرِسْتان وأقام عبد ربّه الكبير بكَرمان نهض إليهم المهلّبُ، فقاتلوه قتالاً شديداً، وحصرهم بجِيرَفْت، وكرّر قتالهم وهو لا ينال منهم حاجته. ثمّ إنّ الخوارج طال عليهم الحصار، فخرجوا من جيرَفْت بأموالهم وحُرَمهم، فقاتلهم المهلّب قتالاً شديداً حتّى عُقرت الخيل، وتكسّر[4] السلاح[5] وقُتل الفرسان فتركهم[6]، فساروا،

---

(١) الطبري ٦/٣٠٠ ـ ٣٠٣.

(٢) في الأوربية: «وهو».

(٣) الطبري ٦/٣٠٣، ٣٠٤، نهاية الأرب ٢١/١٥٥، ١٥٦.

(٤) في الأوربية: «وتكسرت».

(٥) في (ب): «الروح».

(٦) في الأوربية: «فيتركهم».

ودخل المهلّب جيرَفْت، ثمّ سار يتبعهم إلى أن لحِقهم على أربعة فراسخ من جيرَفْت، فقاتلهم من بُكرة إلى نصف النهار وكفّ عنهم، وأقام عليهم.

ثمّ إنّ عبد ربّه جمع أصحابه وقال: يا معشر المهاجرين! إنّ قَطَرِيّاً ومَنْ معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل إليه، فالقَوا عدوَّكم وهبوا أنفسكم لله. ثمّ عاد للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً أنساهم ما قبله، فبايع جماعةٌ من أصحاب المهلّب على الموت، ثمّ ترجّلت الخوارج وعقروا دوابّهم، واشتدّ القتال وعظُم الخطْبُ حتّى قال المهلّب: ما مرّ بي مثل هذا. ثمّ إنّ الله تعالى أنزل نصره على المهلّب وأصحابه، وهزم الخوارج وكثُر القتلى فيهم، وكان فيمَنْ قُتل: عبد ربّه الكبير، وكان عدد القتلى أربعة آلاف قتيل، ولم ينجُ منهم إلّا قليل، وأُخذ عسكرهم وما فيه وسبُوا، لأنّهم كانوا يسبون نساء المسلمين. وقال الطُّفَيْل بن عامر بن واثلة يذكر قتل عبد ربّه الكبير وأصحابه:

لقد مسّ مَنّا عبدَ ربٍّ وجُندَه ... عِقابٌ فأمسَى سَبْيُهُمْ في المَقاسِمِ
سمَا لهُمُ بالجَيشِ حتّى أزاحَهم ... بكرمانَ[1] عن مثوًى من الأرض ناعمِ
وما قَطَريُّ الكُفرِ إلّا نَعامَةٌ ... طَريدٌ يُدوّي لَيلَهُ غيرَ نائمِ
إذا فرّ منّا هارباً كانَ وَجهُهُ ... طريقاً سوَى قصدِ الهُدى والمَعالمِ
فليسَ بمنجيهِ الفرارُ[2] وإنْ جرَتْ ... به الفُلكُ في لُجٍّ منَ البحرِ دائمِ[3]

وهي أكثر من هذا تركناها لشهرتها.

وأحسن الحجّاج إلى أهل البلاء وزادهم، وسيّر المهلّبُ إلى الحجّاج مبشّراً، فلمّا دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج، وذكر حروبهم، وأخبره عن بني المهلّب فقال: المغيرة فارسهم وسيّدهم، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، وجوادهم وسخيّهم قَبيصة، ولا يستحيي الشجاع أن يفرّ من مُدركة، وعبد الملك سمٌّ ناقع، وحَبيب موتٌ زُعاف، ومحمّد ليث غاب، وكفاك بالمفضّل نجدة، قال: فأيّهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يُعرَف طرفها. فاستحسن قوله وكتب إلى المهلّب يشكره، ويأمره أن يولّي كَرمان مَنْ يثق به[4]، ويجعل فيها مَنْ يحميها ويقدم إليه. فاستعمل على كرمان يزيدَ ابنَه، وسار إلى الحجّاج، فلمّا قدِم عليه أكرمه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أهل العراق أنتم عبيد المهلّب. ثمّ قال له: أنتَ كما قال لَقيط بن يَعْمر الإياديُّ في صفة أمراء الجيوش:

(١) في (آ) و (ر): «بكرّ وفر».
(٢) في الأوربية: «القرار».
(٣) الطبري ٦/٣٠٨.
(٤) في الأوربية: «إليه».

وقلِّدوا أمركُم[1] للَّهِ درُّكُمُ	رَحْبَ الذّراع بأمرِ الحرْبِ مُضْطَلِعا
لا مُترَفاً إنْ رَخاءُ العيش ساعَدَه	ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشَعَا
مُسهَّد النّوم تعنيه[2] ثغورُكُمُ	يَرومُ منها إلى الأعداء مُطّلَعَا
[ما] انفكَّ يَحْلبُ هذا الدّهرَ أشْطُرَهُ	يكونُ متّبعاً طوراً ومُتّسِعَا[3]
ولَيسَ يَشغلهُ مالٌ يثمّرُهُ	عنكم ولا وَلَدٌ يَبغي له الرِّفَعَا
حتّى استمَرّتْ على شَزْرٍ مريرَتُه	مستحكم السّنّ لا قَحْماً ولا ضَرَعَا[4]

وهي قصيدة طويلة هذا هو الأجود[5] منها.

ذكر قتل قَطَريّ بن الفُجاءة وعبيدة بن هلال

قيل: وفي هذه السنة كانت هلكة قَطَرِيّ، وعُبَيدة بن هلال، ومَنْ [كان] معهما من الأزارقة.

وكان السبب في ذلك أنّ أمرهم لما تشتّت بالاختلاف الذي ذكرنا، وسار قَطَريّ نحو طَبَرستان، وبلغ خبرُه الحجّاجَ، سيّر إليه سُفْيانَ بن الأبرد في جيش عظيم. وسار سفيان واجتمع معه إسحاق بن محمّد بن الأشعث في جيش لأهل الكوفة بطبرستان، فأقبلوا في طلب قطريّ، فلحِقوه في شِعب من شِعاب طَبرستان فقاتلوه، فتفرّق عنه أصحابه ووقع عن دابّته، فتدهدى[6] إلى أسفل الشِّعب، وأتاه عِلْجٌ من أهلِ البلد، فقال له قَطريّ: اسقِني الماء. فقال العِلج: أعطِني شيئاً. فقال: ما معي إلاّ سلاحي وأنا أعطيكه[7] إذا أتيتني بالماء. فانطلق العلجُ حتّى أشرف على قطريّ، ثمّ حدّر عليه حجراً من فوقه، فأصاب وِرْكه فأوهنه، فصاح بالناس، فأقبلوا نحوه، ولم يعرفه العِلْجُ، غير أنّه يظنّ أنّه من أشرافهم لكمال سلاحه وحُسن هيئته، فجاء إليه نفرٌ من أهل الكوفة فقتلوه، منهم: سَوْرة بن الحُرّ[8] التميميّ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مِخْنَف، والصَّبَّاح بن محمّد بن الأشعث، وباذان مولاهم، وعمر بن أبي الصَّلت، وكلّ هؤلاء ادّعى قتله.

---

(١) في (آ): «لعزكم».
(٢) في (ب): «تعبيه»، وفي الأوربية: «بعينيه».
(٣) في (آ) «ومقسفا»، و (ر): «ومتبغا»، وفي نهاية الأرب: «متَبَعا».
(٤) الشعر والشعراء ١/١٥٢، مختارات ابن الشجري ٣، نهاية الأرب ٢١/١٥٨.
(٥) في (ب): «المقصود».
(٦) في الأوربية: «فتدهده».
(٧) في الأوربية: «أعطيك».
(٨) في (ر): «أبجر».

فجاء إليهم أبو الجَهْم بن كِنانة فقال لهم: ادفعوا رأسه إليّ حتّى تصطلحوا، فدفعوه إليه، فأقبل به إلى إسحاق بن محمّد وهو على الكوفة، فأرسله معه إلى سفيان، فسيّر سفيانُ الرأسَ مع أبي الجَهْم إلى الحجّاج، فسيّره الحجّاج إلى عبد الملك، فجعل عَطاءه في ألْفين.

ثمّ إنّ سفيان سار إليهم فأحاط بهم، ثمّ أمر مناديه فنادى: مَنْ قتل صاحبه وجاء إلينا فهو آمن؛ فقال عُبيدة بن هلال في ذلك:

لَعَمْري لقد قامَ الأصَمُّ بخطبَةٍ	لذي[1] الشكّ منها في الصّدورِ غليلُ
لَعَمْري لئن أعطيتُ سفيانَ بَيعتي	وفارَقْتُ ديني إنّني لجَهولُ
إلى اللّهِ أشكُو ما ترَى بجيادِنا	تَساوَكُ[2] هزْلَى مُخّهنّ قليلُ
تَعاوَرَها القُذّافُ من كلّ جانبٍ	بقُومِسَ حتّى صَعْبهنّ ذَلولُ
فإنْ يكُ أفناها الحصارُ فرُبّما	تَشَحّطَ فيما بينَهنّ قَتيلُ
وقد كنّ ممّا إن يُقَدْنَ على الوَجى	لهنّ بأبوابِ القِبابِ صَهيلُ[3]

وحصرهم سفيان حتّى أكلوا دوابّهم، ثمّ خرجوا إليه فقاتلوه، فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحجّاج. ثمّ دخل سفيان دُنْباوَنْد وطَبَرِسْتان، فكان هناك حتّى عزله الحجّاج قبل الجماجم[4].

وقال بعض العلماء: وانقرضت الأزارقة بعد مقتل قَطَريّ وعُبيدة، إنّما كانوا دفعة متّصلة أهل عسكر واحد، وأوّل رؤسائهم نافع بن الأزرق، وآخرهم قَطَريّ وعبيدة، واتّصل أمرهم بضْعاً وعشرين سنة، إلاّ أنّي أشكّ في صُبَيح المازنيّ التميميّ مولى سوار بن الأشعر الخارج أيّام هشام، قيل: هو من الأزارقة أو الصُّفْريّة، إلاّ أنّه لم تطُلْ أيّامه، بل قُتل عُقَيْب خروجه.

ذكر قتل بُكَيْر بن وسّاج[5]

في هذه السنة قتل أميّةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العِيص بن أميّة بُكَيرَ بن وسّاج[5].

---

(١) في الأوربية: «لدى».
(٢) التساوك: السير الضعيف.
(٣) الطبري ٦/٣١١.
(٤) الطبري ٦/٣٠٨ - ٣١١، نهاية الأرب ٢١/١٥٩، ١٦٠.
(٥) في تاريخ الطبري ٦/٣١١ «وشاح».

وكان سبب ذلك أنّ أميّة بن عبد الله، وهو عامل عبد الملك بن مروان على خُراسان، أمر بُكيراً بالتجهيز لغزو ما وراء النهر، وقد كان قبل ذلك ولاّه طَخارستان، فتجهّز له، فوشى به بَحير بن ورقاء إلى أميّة، فمنعه عنها، فلمّا أمره بغزو ما وراء النهر تجهّز، وأنفق نفقةً كثيرة وادّان فيها، فقال بحير لأميّة: إن صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة. فأرسل إليه أميّة: أن أقمْ لعلّي أغزو فتكون معي. فغضب بُكير وقال: كأنّه يضارّني. وكان عُقاب ذو اللِّقوة الغُدانيُّ استدان ليخرج مع بُكَير، فأخذه غرماؤه، فحُبس حتّى أدّى عنه بُكير.

ثمّ إنّ أميّة تجهّز للغزو إلى بخارى، ثمّ يعود منها إلى موسى بن عبد الله بن خازم بترمِذ، وتجهّز الناسُ معه وفيهم بُكَير، وساروا، فلمّا بلغوا النهرَ وأرادوا قطعَه قال أميّة لبُكَير: إنّي قد استخلفتُ ابني على خُراسان، وأخاف أنّه لا يضبطها لأنّه غلام حدَث، فارجعْ إلى مَرْو فاكفِنِيها[1] فإنّي قد ولّيتكها، فقمْ بأمر ابني.

فانتخبَ بُكَير فرساناً كان عرفهم ووثق بهم ورجع، ومضى أميّة إلى بخارى للغزاة. فقال عُقاب ذو اللِّقوة لبُكير: إنّا طلبنا أميراً من قريش، فجاءنا أمير يلعب بنا ويحوّلنا من سجن إلى سجن، وإنّي أرى أن تحرق[2] هذه السفن ونمضي إلى مرو، ونخلع أميّة ونقيم بمرو ونأكلها إلى يوم ما. ووافقه الأحنف بن عبد الله العنبريُّ على هذا. قال بُكَير: أخافُ أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي. قال: إن هلك هؤلاء فأنا[3] آتيك من أهل مرو بما شئتَ. قال: يهلك المسلمون. قال: إنّما يكفيك أن ينادي منادٍ: مَنْ أسلم رفعنا عنه الخراج، فيأتيك خمسون ألفاً أسمع من هؤلاء وأطوع. قال: فيهلك أميّة ومَنْ معه. قال: ولِمَ يهلكون ولهم عدد وعدّة ونجدة وسلاح ظاهر، ليقاتلوا عن أنفسهم حتّى يبلغوا الصين! فحرق بُكيرٌ السفن ورجع إلى مَرْو، فأخذ ابنَ أميّة بحبسه وخلع أميّةَ.

وبلغ أميّةَ الخبرُ فصالح أهلَ بخارى على فدية قليلة، ورجع وأمر باتّخاذ السفن، وعبر وذكر للنّاس إحسانه إلى بُكَير مرّة بعد أخرى، وأنّه كافأه بالعصيان، وسار إلى مَرْو، وأتاه موسى بن عبد الله بن خازم، وأرسل أُميّةُ شَمّاسَ بن دِثار[4] في ثمانمائة، فسار إليه بُكَير وبيّته فهزمه وأمر أصحابه أن لا يقتلوا منهم أحداً، فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم، وقدِم أميّة فتلقّاه شمّاس، فقدّم أميّةُ ثابتَ بت قُطْبَة، فلقيه بُكَير فأسر ثابتاً وفرّق جمعه، ثمّ أطلقه ليدٍ كانت لثابت عنده.

---

(١) في الأوربية: «فاكفيها».

(٢) في (ب) و (ر): «تخرق».

(٣) في الأوربية: «أنا».

(٤) في (ر): «دبار».

وأقبل أميّة وقاتله بُكَير، فانكشف يوماً أصحابه، فحماهم بُكَير، ثمّ التقوا يوماً آخر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ التقوا يوماً آخر، فضرب بُكَيرٌ ثابتَ بن قُطْبَة على رأسه، فحمل حُرَيْثُ بن قُطْبَة أخو ثابت على بُكَير، فانحاز بُكَير وانكشف أصحابه، واتبع حُرَيثُ بُكَيراً حتى بلغ القنطرة، وناداه: إلى أين يا بُكَير؟ فرجع، فضربه حُريث على رأسه، فقطع المِغفَر، وعضّ السيفُ رأسه فصُرع، واحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة، وكانوا يقاتلونهم.

فكان أصحاب بُكَير يغدون في الثياب المصبغة من أحمر وأصفر، فيجلسون يتحدّثون وينادي مناديهم: مَنْ رمى بسهمٍ رمينا إليه برأس رجلٍ من ولده وأهله، فلا يرميهم أحد.

وخاف بُكَير إن طال الحصار أن يخذله الناس، فطلب الصلح، وأحبّ ذلك أيضاً أصحابُ أميّة، فاصطلحوا على أن يقضي أميّة عنه أربعمائة ألف، ويصل أصحابه، ويولّيه أيّ كُوَر خُراسان شاء، ولا يسمع قول بَحِير فيه، وإنْ رابه رَيبٌ فهو آمن أربعين يوماً.

ودخل أميّة مدينة مرو ووفَى لبُكَير وعاد إلى ما كان من إكرامه، وأعطى أميّةُ عُقاباً عشرين ألفاً.

وقد قيل: إنّ بُكَيراً لم يصحبْ أميّة إلى النهر، كان أميّة قد استخلفه على مرو، فلمّا سار أميّة وعبر النهر خلعه، فجرى الأمر بينهما على ما ذكرناه.

وكان أميّة سهلاً ليّناً سخيّاً، وكان مع ذلك ثقيلاً على أهل خُراسان، وكان فيه زهو شديد، وكان يقول: ما تكفيني خُراسان لمطبخي.

وعزل أميّةُ بَحيراً عن شُرطته، وولّاها عطاء بن أبي السائب. وطالب أميّةُ الناسَ بالخراج واشتدّ عليهم، وكان بُكَير يوماً في المسجد وعنده الناس فذكروا شدّة أميّة وذمّوه، وبَحِير، وضرار بن حُصَين، وعبد الله بن جارية بن قُدامة في المسجد، فنقل بَحير ذلك إلى أميّة، فكذّبه، فادّعى شهادة هؤلاء، فشهد مُزاحم بن أبي المُجشّر السُّلَميُّ أنّه كان يمزح فتركه أميّة.

ثمّ إنّ بَحيراً أتَى أميّة وقال له: والله إن بُكيراً قد دعاني إلى خلعك وقال: لولا مكانك لقتلتُ هذا القرشيّ وأكلتُ خُراسان، فلم يصدّقه أميّة، فاستشهد جماعةً ذكر بُكير أنّهم أعداؤه[1]، فقبض أميّة على بُكير، وعلى بدل، وشمردل ابنَيْ أخيه، ثمّ أمر أميّة

(١) في الأوربية: «ادعاؤه».

بعض رؤساء منْ معه بقتل بُكَير، فامتنعوا، فأمر بَحيراً بقتله فقتله، وقتل أميّةُ ابنَيْ[1] أخي بُكير[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عبر أميّة نهر بلْخ للغزو، فحُوصر حتّى جُهِد هو وأصحابه، ثمّ نجَوا بعدما أشرفوا على الهلاك، ورجعوا إلى مَرْو[3].

وحجّ هذه السنة بالناس أبانُ بن عثمان، وهو أمير المدينة[4].

وكان على الكوفة والبصرة الحجّاج، وعلى خُراسان أميّة[5].

وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك[6].

[الوَفَيَات]

وفيها مات جابر بن عبد الله[7] بن عَمرو الأنصاري.

---

(١) في الأوربية: «ابن».
(٢) الطبري ٦/٣١١ - ٣١٦، نهاية الأرب ٢١/٢٢٤ - ٢٢٧.
(٣) الطبري ٦/٣١٧، نهاية الأرب ٢١/١٩٧.
(٤) تاريخ خليفة ٢٧٦، المحبّر ٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣١٨، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٢، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٥.
(٥) الطبري ٦/٣١٨.
(٦) الطبري ٦/٣١٨، نهاية الأرب ٢١/١٩٧.
(٧) انظر عن (جابر بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٧٧ رقم ١٤٨ وفيه مصادر ترجمته.

٧٨
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر عزل أميّة بن عبد الله وولاية المهلّب خراسان

في هذه السنة عزل عبدُ الملك بن مروان أميّةَ بن عبد الله بن خالد عن خُراسان وسِجِسْتان[١] وضمّهما إلى أعمال الحجّاج بن يوسف، ففرّق عمّاله فيهما، فبعث المهلّبَ بن أبي صُفْرة على خُراسان[٢]، وقد فرغ من الأزارقة، ثمّ قدِم على الحجّاج وهو بالبصرة، فأجلسه معه على السرير، ودعا أصحابَ البلاء من أصحاب المهلّب، فأحسن إليهم وزادهم. وبعث عُبيدَ الله بن أبي بَكرة على سجستان[٣]. وكان الحجّاج قد استخلف على الكوفة عند مسيره إلى البصرة المُغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل، فلمّا استعمل المهلّبَ على خُراسان سيّر ابنه حبيباً إليها، فلمّا ودّع الحجّاجَ أعطاه بغلةً خضراء، فسار عليها وأصحابه على البريد، فسار عشرين يوماً حتّى وصل خُراسان، فلمّا دخل باب مرو لقِيَه حمْل حَطَب، فنفرت البغلةُ، فعجبوا من نفارها بعد ذلك التّعب وشدّة السير. فلمّا وصل خُراسان لم يعرض لأميّة ولا لعُمّاله، وأقام عشرة أشهر حتّى قدِم عليه المهلّب سنة تسعٍ وسبعين[٤].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة أبان بن عثمان[٥]، وكان أمير المدينة. وكان أمير الكوفة

---

(١) فتوح البلدان ٤٩١.

(٢) تاريخ خليفة ٢٧٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٦، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٦.

(٣) فتوح البلدان ٤٩١، تاريخ خليفة ٢٧٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٦.

(٤) الطبري ٦/٣١٩ - ٣٢١، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، المحبّر ٢٥ ويقال عبد الملك بن مروان، مروج الذهب ٤/٣٩٩، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨، أما عند الطبري ٦/٣٢١، وتاريخ خليفة ٢٧٧، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٧ فإن الذي حجّ بالناس هذا العام هو الوليد بن عبد الملك.
وفي شفاء الغرام لقاضي مكة (بتحقيقنا) ٢/٣٤٠ فالذي حج هو الخليفة عبد الملك بن مروان.

والبصرة وخُراسان وسجستان وكَرمان الحجّاج بن يوسف، وكان نائبه بخُراسان المهلّب، وبسَجِسْتان عُبيد الله بن أبي بَكرة، وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنَس، فيما قيل(1).

[الوَفَيات]

في هذه السنة مات عبد الرحمن بن عبد الله(2) القاريّ وله ثمان وسبعون سنة، ومسح النبيّ ﷺ، برأسه.
(القاريّ بالياء المشدّدة).

وفيها مات زيد بن خالد(3) الجُهَنيُّ، وقيل غير ذلك.

وتوفّي عبد الرحمن بن غَنْم(4) الأشعريُّ، أدرك الجاهليّة، وليست له صُحْبَة.

---

(1) الطبري ٦/٣٢١، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨.

(2) انظر عن (عبد الرحمن بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٧٢ رقم ٢٠٦ وفيه مصادر ترجمته.

(3) انظر عن (زيد بن خالد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٠٥ رقم ١٧٢ وفيه مصادر ترجمته.

(4) انظر عن (عبد الرحمن بن غنم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٧٦ رقم ٢٠٩ وفيه مصادر ترجمته.

٧٩
ثم دخلت سنة تسعٍ وسبعين

ذكر غزو عُبيد الله بن أبي بَكرة رُتبيل

لمّا ولّى الحجّاجُ عُبيدَ الله بن أبي بَكرة سجستان، وذلك سنة ثمانٍ وسبعين، مكث سنة لم يغزُ، وكان رُتْبيل مصالحاً، وكان يؤدّي الخراج، وربّما امتنع منه.

فبعث الحجّاجُ إلى عُبيد الله بن أبي بَكرة يأمره بمناجزته، وأن لا يرجع حتّى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيّد رجاله.

فسار عُبيدُ الله في أهل البصرة وأهل الكوفة، وكان على أهل الكوفة شُرَيْح بن هانىء، وكان من أصحاب عليّ، ومضى عُبيد الله حتّى دخل بلاد رُتبيل، فأصاب من الغنائم ما شاء، وهدم حصوناً، وغلب على أرض من أراضيهم، وأصحاب رُتبيل من الترك يتركون[1] لهم أرضاً بعد أرض، حتّى أمعنوا في بلادهم ودَنَوا من مدينتهم، وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، فسُقط في أيدي المسلمين، فظنّوا أن قد هلكوا، فصالحهم عُبيدُ الله على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى رُتبيل[2] ليُمْكن المسلمين من الخروج من أرضه، فلقِيه شُرَيْح فقال له: إنّكم لا تصالحون على شيء إلاّ حسبه السلطان من أعطياتكم، وقد بلغتُ من العمر طويلاً، وقد كنتُ أطلب الشهادة منذ زمان، وإن فاتتني اليوم الشهادةُ ما أُدركها حتّى أموت. ثمّ قال شُرَيح: يا أهل الإسلام تعاونوا على عدوّكم. فقال له ابن أبي بَكرة: إنّك شيخ قد خرِفتَ. فقال له شُرَيح: إنّما حسبك أن يقال بستان عُبيد الله وحمّام عُبيد الله. يا أهلَ الإسلام مَنْ أراد منكم الشهادة فإليّ. فاتّبعه ناس من المتطوّعة غير كثير، وفرسان الناس، وأهل الحفّاظ، فقاتلوا حتّى أُصيبوا إلاّ قليلاً، وجعل شُرَيح يرتجز ويقول:

---

(١) في الأوربية: «ينزلون».

(٢) هكذا هنا وعند الطبري ٦/٣٢٣، أما عند البلاذري في فتوح البلدان ٤٩١ فالأمر مختلف، حيث يقول: «ولحقهم رتبيل، فصالحهم عبيد الله على أن يعطوه خمس مئة ألف درهم، ويبعث إليه بثلاثة من ولده: نهار، والحجاج، وأبي بكرة رُهناء..».

أَصْبَحْتُ ذا بثّ أُقاسي الكِبَرا قد عِشتُ بينَ المشركينَ أعصُرا

ثمّة أدركْنا[1] النبيَّ المنذِرا وبعْدَهُ صِدّيقَه وعُمَرا

ويومَ مِهرانَ ويومَ تُسْتَرا والجمعَ في صِفّينهم والنَّهَرا

وباجُمَيراتٍ[2] معَ المُشقَّرا هيهاتَ ما أطوَلَ هذا عُمُرا[3]

وقاتل حتّى قُتل في ناس من أصحابه، ونجا مَن نجا منهم، فخرجوا من بلاد رُتبيل، فاستقبلهم الناس بالأطعمة، فكان أحدهم إذا أكل وشبع مات، فحذر الناس، وجعلوا يطعمونهم[4] السمن قليلاً قليلاً حتّى استمرؤوا، وبلغ ذلك الحجّاجَ، فكتب إلى عبد الملك يعرّفه ذلك ويُخْبره أنّه قد جهّز من أهل الكوفة وأهل البصرة جيشاً كثيفاً، ويستأذنه في إرساله إلى بلاد رُتْبيل[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أصاب أهلَ الشام طاعونٌ شديد حتّى كادوا يَفْنَوْن، فلم يغزُ تلك السنة أحد فيما قيل[6]. وفيها أصاب أهلُ الروم أهلَ أنطاكية وظفروا بهم[7] وفيها استعفى شُرَيح بن الحارث عن القضاء، فأعفاه الحجّاجُ واستعمل على القضاء أبا بُرْدة بن أبي موسى[8].

وحجّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، وكان على المدينة[9]، وكان على العراق والشرق كلّه الحجّاج بن يوسف. وكان على قضاء البصرة موسى بن أَنَس[10].

---

(١) الطبري: «أدركت».

(٢) في الأوربية: «وما جميرات».

(٣) الطبري ٦/٣٢٣، نهاية الأرب ٢١/١٩٨.

(٤) في الأوربية: «يطعمونه».

(٥) الطبري ٦/٣٢٢ ـ ٣٢٤، وانظر: تاريخ خليفة ٢٧٧، وفتوح البلدان ٤٩١، ٤٩٢، نهاية الأرب ٢١/١٩٧.

(٦) الطبري ٦/٣٢٢، نهاية الأرب ٢١/١٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٢.

(٧) الطبري ٦/٣٢٢، نهاية الأرب ٢١/١٩٩، وفي تاريخ العظيمي ١٩٢ «وظفر أهل أنطاكية بالروم»!

(٨) الطبري ٦/٣٢٤.

(٩) تاريخ خليفة ٢٧٩، المحبّر ٢٥ وفيه عبد الملك، ويقال: أبان، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣٢٤، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٢.

(١٠) الطبري ٦/٣٢٤.

[الوَفَيات]

وفيها مات محمود بن الربيع، وكنيته أبو إبراهيم[1]، ووُلد على عهد رسول الله ﷺ.

وعبد الرحمن بن عبد الله بن **مسعود**[2].

---

(١) لم أجد من اسمه: محمود بن الربيع وكنيته: أبو إبراهيم، بل يوجد: محمود بن الربيع بن سُراقة الأنصاري الخزرجي الذي يُكنى: أبا نُعيم، وقيل: أبا محمد، وهو عقل مجّة مجّها رسول الله ﷺ من دلوٍ في بئرهم وحفظ ذلك وله أربع سنين وقيل: خمس سنين، وتوفي سنة تسع وتسعين، وقيل: سنة ست وتسعين، (أسد الغابة ٤/٣٣٢).
فاسمه واسم أبيه واحد، ولكن كنيته وتاريخ وفاته مختلفان. فلْيُتأمّل.

(٢) انظر عن (عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٧١ رقم ٢٠٥ وفيه مصادر ترجمته.

٨٠
ثم دخلت سنة ثمانين

في هذه السنة أتَى سيلٌ بمكّة فذهب بالحُجّاج، وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال ما لأحد فيهم حيلة، وغرقت بيوت مكّة، وبلغ السيلُ الركنَ فسُمّي ذلك العام الجُحاف[1].

وفي هذه السنة وقع بالبصرة طاعون الجارف[2].

ذكر غزوة المهلّب ما وراء النهر

في هذه السنة قطع المهلّب نهر بلْخ، ونزل على كِشّ[3]، وكان على مقدّمته أبو الأدهم الزمانيُّ في ثلاثة آلاف، وهو في خمسة آلاف، وكان أبو الأدهم يُغْني غَناء ألْفَين في البأس والتدبير والنصيحة، فأتى المهلّبَ وهو نازل على كشّ ابنُ عمّ ملك الخُتّل فدعاه إلى غزو الخُتّل، فوجَّه معه ابنَه يزيد، وكان اسم ملك الختّل الشبل، فنزل يزيد ونزل ابن عمّ الملك ناحية، فبيّته الشبلُ وأخذه فقتله، وحصر يزيد قلعة الشبل، فصالحوه على فديةٍ حُملت إليه، ورجع يزيد عنهم، ووجّه المهلّب ابنَه حبيباً فوافى صاحبَ بخارى في أربعين ألفاً، فنزل جماعة من العدوّ قرية، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية، فسُمّيت المحترقة، ورجع حبيب إلى أبيه.

وأقام المهلّب بكشّ سنتين، فقيل له: لو تقدّمتَ إلى ما وراء ذلك. فقال: ليت حظّي من هذه الغزاة سلامة هذا الجُند وعَودهم سالمين.

---

(١) الطبري ٦/٣٢٥، تاريخ العظيمي ١٩٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٧٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٤٢، أخبار مكة للأزرقي ٢/١٦٨، البداية والنهاية ٩/٣١.

(٢) الطبري ٦/٣٢٥، البداية والنهاية ٩/٣١ وقال ابن كثير: والمشهور أنه كان في سنة تسع وستين كما تقدّم. وذكر خليفة في تاريخه ٢٧٩ أن أهلَ الشام أصابهم طاعون شديد، فلم يكن لهم ذلك العام غزو، تاريخ العظيمي ١٩٣.

(٣) وردت في الأصول: «كس» و«كش» و«كيس».

ولمّـا كان المهلّب بكشّ أتـاهم قومٌ من مُضَـر، فحبسهم بها ،فلمّا رجع أطلقهم، فكتب إليـه الحجّاج: إن كنتَ أصَبْتَ بحبْسهم فقـد أخطأتَ بـإطلاقهم، وإن كنتَ أصبتَ بـإطـلاقهم، فقــد ظلمتهم إذ حبستهم. فكتب المهلّب: خفتُهم وحبستهم، فلمّـا أمنتهم خلّيتهم. وكان فيمَنْ حُبس عبد الملك بن أبي شيخ القُشَيريُّ.

وصالَح المهلّبُ أهلَ كشّ على فِديةٍ يأخـذها منهم، وأتـاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجّاج ويدعوه إلى مساعدته، فبعث بكتابه إلى الحجّاج وأقام بكشّ[1].

ذكر تسيير الجنود إلى رُتبيل مع عبد الرحمن ابن محمّد بن الأشعث

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابنُ أبي بَكرة بلاد رُتبيل، واستأذن الحجّاجُ عبدَ الملك في تسيير الجنود نحو رُتبيل، فأذِن له عبد الملك في ذلك، فأخذ الحجّاج في تجهيز الجيش، فجعل على أهلِ الكوفـة عشرين ألفـاً، وعلى أهل البصـرة عشرين ألفـاً، وجدّ في ذلك، وأعطى الناس أعـطياتهم كَمَـلاً، وأنفق فيهم ألْفَيْ ألف سوى أعـطياتهم، وأنجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل، وأعطى كلّ رجل يوصف بشجاعة وغَناء، منهم عُبيد بن أبي مِحْجَن الثقفيُّ، وغيره.

فلمّا فرغ من أمـر الجُندَيْن بعث عليهم عبـد الرحمن بن محمّـد بن الأشعث، وكان الحجّاج يبغضه ويقول: ما رأيته قطّ إلاّ أردتُ قتله. وسمع الشعبيّ ذلك من الحجّاج ذات يوم فأخبر عبد الرحمن به، فقال: والله لأحاولنّ أن أُزيـل الحجّاجَ عن سلطانـه. فلمّا أراد الحجّاج أن يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش أتـاه إسماعيـل بن الأشعث فقال لـه: لا تبعثْهُ، فوالله ما جاز جسر الفرات فـرأى لوالٍ عليـه طاعـة[2]، وإنّي أخاف خـلافه. فقـال الحجّاج: هو أهْيَبُ[3] لي من أن يخالف أمري. وسيّره على ذلك الجيش، فسار بهم حتّى قدِم سِجِسْتان، فجمع أهلَها فخطبهم ثمّ قال: إنّ الحجّـاج ولاّني ثغركم، وأمـرني بجهاد

---

(١) الطبري ٦/٣٢٥، ٣٢٦، تـاريـخ خليفـة ٢٧٩، تـاريـخ اليعقـوبي ٢/٢٧٦، وجـاء في «فتـوح البلدان» ص ٥١٤ بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد أن الحجّاج بن يـوسف ولّى خراسـان المهلّب بن أبي صفرة سنة تسع وتسعين، فغزا مغازي كثيرة، وفتح الخُتّل. . .

ويقول خادم العلم وطالبه المعتني بهذا الكتاب «عمر عبد السلام تدمـري»: إن التّاريـخ وهْم، والصحيح «سنـة تسـع وسبعين» حيث تـوفي المهلّب سنـة ٨٣ هـ. والـذي بقي إلى سنـة ٩٩ هـ. هـو ابنـه يـزيـد. فليُصحّح.

(٢) في الأوربية: «طاعته».

(٣) في الأوربية: «أهيبه».

عدوّكم الذي استباح بلادكم، فإيّاكم أن يتخلّف منكم أحد، فتمسّه العقوبة.

فعسكروا مع الناس وتجهّزوا، وسار بأجمعهم، وبلغ الخبرُ رُتبيلَ، فأرسل يعتذر ويبذل الخراجِ، فلم يقبل منه، وسار إليه ودخل بلاده، وترك له رُتبيل أرضاً أرضاً، ورُستاقاً رُستاقاً، وحصناً حصناً، وعبد الرحمن يحوي ذلك، وكلّما حوى بلداً بعث إليه عاملاً، وجعل معه أعواناً[1]، وجعل الأرصاد على العِقاب والشِّعاب، ووضع المسالح بكلّ مكان مَخوفٍ، حتّى إذا جاز من أرضه [أرضاً] عظيمة، وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة، منع الناس من الوغول في أرض رُتْبيل، وقال: نكتفي بما قد أصبناه العام من بلادهم حتّى نجبيها[2] ونعرفها، ويجترىء المسلمون على طرقها، وفي العام المقبل نأخذ ما وراءها إن شاء الله تعالى، حتّى نقاتلهم في آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وأقصى بلادهم، حتّى يُهْلكهم الله تعالى. ثمّ كتب إلى الحجّاج بما فتح الله عليه، وبما يريد أن يعمل[3].

وقد قيل في إرسال عبد الرحمن غير ما ذكرنا، وهو أنّ الحجّاج كان قد ترك بكرمان هِمْيان بن عديّ السدوسيَّ يكون بها مسلحةً إن احتاج إليه عامل سجستان والسِّند، فعصى هِمْيان، فبعث إليه الحجّاجُ عبدَ الرحمن بن محمّد، فحاربه فانهزم هميان، وأقام عبد الرحمن بموضعه. ثمّ إنّ عُبيد الله بن أبي بَكرة مات وكان عاملاً على سجستان، فكتب الحجّاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهّز إليه هذا الجيش، فكان يسمّى جيش الطواويس لحسنه[4].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالنّاس هذه السنة أبان بن عثمان[5]، وكان أمير المدينة. وكان على العراق والمشرق الحجّاج، وكان على خُراسان المهلّب من قِبَل الحجّاج، وكان على قضاء البصرة موسى بن أَنس، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة[6].

---

(١) في الأوربية: «عواناً».
(٢) في الأوربية: «نجيها».
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٧.
(٤) الطبري ٦/٣٢٦ - ٣٢٩، التنبيه والإشراف ٢٧١، نهاية الأرب ٢١/٢٤٩، البداية والنهاية ٩/٣١، ٣٢.
(٥) تاريخ خليفة ٢٨٠، المحبّر ٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣٢٩، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٣، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨، البداية والنهاية ٩/٣٢.
(٦) الطبري ٦/٣٢٩.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات أسْلم مولى عمر بن الخطّاب[1]. وفيها توفّي أبو إدريس الخَوْلاني[2]. وفيها مات عبد الله بن جعفر[3] بن أبي طالب، وقيل سنة أربع، وقيل سنة خمس، وقيل سنة ستٍّ وثمانين، وقيل سنة تسعين. وفيها قُتل مَعْبد بن عبد الله[4] بن عُكَيْم[5] الجُهَنيُّ الذي يروي حديث الدِّبّاغ، وهو أوّل من قال بالقَدَر في البصرة، قتله الحجّاج، وقيل: قتله عبد الملك بن مروان بدمشق. وفيها توفّي محمّد بن عليّ بن أبي طالب[6]، وهو ابن الحنفيّة. وفيها توفّي جُنادة بن أبي أميّة[7]، وله صُحْبة، وكان على غزو البحر أيّام معاوية كلّها. وفيها مات السائب بن يزيد[8] بن أخت النَّمر، وقيل: سنة ستّ وثمانين، وُلد على عهد النبيّ ﷺ. وفيها توفّي سُوَيْد بن غَفَلة[9]، (بفتح الغين المعجمة، والفاء).

وفيها توفّي عبد الله بن أبي أوْفَى[10]، وهو آخر مَنْ مات من الصحابة بالكوفة.

وجُبَير بن نُفَير[11] بن مالك الحضرميُّ، أدرك الجاهليّة، وليس له صُحْبَة.

---

(1) انظر على (أسلم مولى عمر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٦١ رقم ١٣٩ وفيه مصادر ترجمته.

(2) انظر عن (أبي إدريس الخولاني) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٤٢ رقم ٢٦٣ وفيه مصادر ترجمته.

(3) انظر عن (عبد الله بن جعفر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٢٨ رقم ١٨٧ وفيه مصادر ترجمته.

(4) انظر عن (معبد بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٩٩ رقم ١٤٧ وفيه مصادر ترجمته.

(5) في طبعة صادر ٤٥٦/٤ «عُليم»، وهذا تصحيف.

(6) انظر عن (محمد بن علي) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٩٩ رقم ١٤٧ وفيه مصادر ترجمته.

(7) انظر عن (جُنادة بن أبي أميّة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٨٣ رقم ١٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(8) انظر عن (السائب بن يزيد) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٣٦٣ رقم ٢٧٤ وفيه مصادر ترجمته.

(9) انظر عن (سويد بن غفلة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٧٥ رقم ٤١ وفيه مصادر ترجمته. وقد ضُبط في طبعة صادر ٤٥٦/٤ «غَفْلة» بسكون الفاء، وهو وهْم، والصحيح بالتحريك، كما نصّ المؤلّف بعد الاسم مباشرة إذ قال: سويد بن غفلة، بفتح الغين المعجمة والفاء.

(10) انظر عن (عبد الله بن أبي أوفى) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٩٨ رقم ٦١ وفيه مصادر ترجمته.

(11) انظر عن (جُبير بن نفير) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٣٨١ رقم ١٤٩ وفيه مصادر ترجمته.